روائع المسرح العالمي

٧

إليكترا

تأليف
جان جيرودو

ترجمة
الدكتور محمد غلاب

مراجعة
يحيى حقي

تقديم
د. رينى فشبة

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

إليـــكترا

ELECTRE

تأليف جان چيرودو

Jean Giraudoux

مقدمة

جان جيرودو

والمسرحية التاريخية فى فترة ما بين الحربين العالميتين

بقلم : الأستاذ درينى خشبة

دراسة وعرض :

فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، وهى الفترة التى لمع فيها نجم «جان جيرودو» مؤلف هذه المسرحية ، شاع فى أوربا وأمريكا اتجاه جديد فى كتابة المسرحية ، إلى جانب ما ظهر فيها من البدع والمذاهب المسرحية الجديدة . . . ذلك هو الأخذ من الأحداث التاريخية الهامة ، قديمها ووسيطها ، وحديثها القريب ، واستخدام الحادثة التاريخية المأخوذة وسيلة إلى نقد حدث جديد ، أو مهاجمة مذهب شائع ، أو السخرية بنظام من النظم ، أو الحط من طبقة من الطبقات تنهج نهجاً من الحياة لا ترضى عنه فلسفة كاتب المسرحية . وقد أطلق مؤرخو الأدب المسرحى على هذا النوع من أنواع الكتابة « المسرحية التاريخية » وهى تختلف عن « المسرحية

الإخبارية« Chronicle Play » فى أنها لا تعرض تاريخاً لأجل التاريخ أو تعرض قطاعاً من الزمن لتصور لنا أهله أو حدثاً من أحداثه تصويراً حياً فوق خشبة المسرح . ولكن لتتخذ من هذا الحدث التاريخى القديم وسيلة لمهاجمة حدث جديد لا يزال يفعل فعله إما فى سياسة دولة من الدول ، وإما فى سياسة مجموعة من الدول ، وإما فى سياسة العالم كله . . أو فى حياة مجتمع من المجتمعات .

ظهر ذلك الاتجاه فى أوربا ، ولا سيما فى فرنسا وبلجيكا وألمانيا وانجلترا . . . وظهر بخاصة فى روسيا السوفييتية التى كان همّ كتابها مهاجمة النظم التى تخالف النظام السوفييتى ، والتنديد بالملكيات والحكومات الرأسمالية ونظم معايشها . . . ثم ظهر فى أمريكا كردّ فعل لهذا الاتجاه الأوربى فى عالم التأليف المسرحى . . . والكتاب الأمريكيون يترصدون كتاب أوربا دائماً . . . يأخذون عنهم كل بدعة جديدة ، وكثيراً ما يتفوقون عليهم فيها بعد ذلك .

وقد شهد المسرح المصرى من تلك الروايات التاريخية مسرحية « رجل الأقدار لبرنارد شو » التى سخر فيها من نابليون ومن سخف تفكيره وعظمته الفارغة . . . وهو فى الحقيقة كان يسخر من جميع طغاة عصره . . . أولئك الذين كانوا يتشبهون بنابليون ويطمحون إلى مثل ما كان له من سلطان وجبروت . كما شهد مسرحنا أيضاً تمثيلية «شو» الثانية « تلميذ

الشيطان » تلك التمثيلية التى سخر فيها من رجال الدين ومن الاستعمار البريطانى وعقلية المستعمرين البريطانيين ، بل استهزأ فيها بالتاج البريطانى وبالعقلية البريطانية كلها . و «لشو» فى ذلك الميدان روائع عظيمة . ونحن المصريين لا ننسى له كيف فضح الاستعمار الإنجليزى فى مسرحيته « جزيرة چون بول الأخرى » التى فضح فيها جريمة الإنجليز فى دنشواى .

والكاتب الأسكتلنـــدى « جيمس بريدى » J. Bridie (ولد سنة ١٨٨٨ — ؟) يكاد يقف فى مستوى واحد مع «شو» فى ذلك الميدان . . . وكثيراً ما كان يتخذ من قصص التوراة مرآة يعكس فيها صور الحياة وسخافات المعيشة والمعايب الفكرية فى عصره . . . وبريدى حلو الدعابة لاذع السخرية مثل « برنارد شو » أيضاً .

ومن كتاب أمريكا الذين شغفوا بهذا اللون الكاتب العبقرى «روبرت شروود» R. Sherwood (ولد فى سنة ١٨٩٦) وهو من أبرع الكتاب المسرحيين فى تلقف الحادثة التاريخية القديمة ليتخذها ذريعة لعرض حادثة من حوادث عصره . . ولا سيما الحوادث الأمريكية . . . ومن أبدع مسرحياته فى ذلك تمثيلية : (الطريق إلى رومة ١٩٢٧) التى يسخر فيها من مثيرى الحروب . . . أولئك الطغاة المغرورون الذين لا ينشدون صالح بلادهم بقدر ما ينشدون مجدهم الشخصى —

وهو يعرض فى شخصية «هانيبال» بشخصيات «غليوم الثانى» ومن إليه من مثيرى الحرب العالمية الأولى . . . كما يفضح «نابليون» فى مسرحيته «جسر واترلو» . . وهو فى الحقيقة يفضح طغاة عصره ويعرّض بهم . . .

وممن سار فى هذا الطريق شيخ الكتاب المسرحيين «يوچين أونيل» . . . ونحن حين نذكر أونيل نذكر أنه ممن استخدموا مأساة إليكترا بالذات لتطبيقها على حادث عصرى من الأحداث التى عصفت بإحدى الأسر الأمريكية فى أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها . وذلك فى مأساته « إليكترا تلبس ثوب الحداد أو الحداد جدير بإلكترا « Mourning Becomes Electra » وهى المأساة التى سار فى جميع وقائعها فيما سارت فيه وقائع المأساة اليونانية القديمة خطوة فخطوة . وهو فى مسرحيته « لعازر يضحك » يستخدم الشخصية التى أحياها السيد المسيح بعد دفنها للتحدث بلسان لعازر — أو عازر — بأن الموت ظاهرة لا يصح أن نخاف منها ، وأن الدار الآخرة — دار الله — ليست إلا الضحك نفسه .

أما فى فرنسا فقد اتخذ كتاب كثيرون الأحداث التاريخية ذريعة لبث آرائهم وفلسفاتهم ونقد ما لا يروقهم من مظاهر المجتمع بأفراده وطبقاته .

ومن هؤلاء الكاتب الفكه « أندريه جوسيه » مؤلف مسرحية « إليزابث — المرأة التى لا زوج لها » وفيها يسخر

« جوسيه » من أولئك العظيمات اللائى يتنكرن لطبائعهن ، مخدوعات بمظاهر العظمة الكاذبة ، فيتبدين فى مظاهر الرجولة لأن منصبهن فوق العرش وتحت التاج ، يفرض عليهن هذه النفخة الكاذبة ، وهن فى حياة الظلام ، وبعيداً عن مظاهر الملك يعشقن ويسفلن ويأتين من المباذل ما يأتيه البشر العاديون . . وهو يقصد بإليزابث طبعاً إليزابث الملكة الإنجليزية فى عصر « شيكسبير » . . تلك التى طالما كانت لها جولات غرامية مع «لورد إسكس» فى غفلة من رعاياها . . ثم هو يقصد طبعاً غمز ما كان يصدر من ولى عهد انجلترا وكثير من ملوك أوربا وملكاتها من حوادث الطيش وصبوات العشق . وقد كتب « جوسيه » فى هذا الباب مسرحية أخرى اسمها « آل بورچيا ، تلك الأسرة الغريبة » .

ومنهم الكاتب الفكه « بول راينال » مؤلف ملهاة « نابليون الذى لا نابليون غيره » (١٩٣٦) التى يعرّض فيها بطغاة أوربا فى ذلك الوقت ، وهم الطغاة الذين كانوا يمثلون فى حياتهم الخاصة نفس الملهاة التى كان يمثلها نابليون مع زوجته « جوزفين » .

ومنهم « فرنسوا بورشيه » مؤلف ملهاة « ملك وسيدتان وخادم » والملك هنا هو الملك لويس الرابع عشر وما كان يتخذ من عشيقات ، ثم ما كان ينشب بين العشيقات من منافسات ودسائس يتسرب أثرها إلى صميم الحكم نفسه ،

وهو ما كان يرمى إليه «جوسيه» فى مسرحياته من غمز للبلاطات الملكية فى أوربا وغير أوربا .

ومنهم «رومان رولان» الذى استغل أحداث الثورة الفرنسية فى عدد كبير من مسرحياته التى طبقها على أحداث زمانه .

ومنهم ساشا جترى ، وإدوارد بورديه ، وجان سارمان ، وجول سوبرفيل ، وبول ديماسى ، الذى كتب عدداً كبيراً من المسرحيات التى أخذ مادتها من التوراة ومن التاريخ أيضاً — ومن أشهر مسرحياته هذه « دليلة » (١٩٢٦) و « مأساة الإسكندر » (١٩٣٣) .

ومن أعظم هؤلاء الكتاب الفرنسيين فى هذا الباب مؤلف مسرحيتنا هذه الكاتب الموهوب « جان چيرودو »
Jean Giraudoux

ولد « جان چيرودو » فى بيلاك Bellac سنة ١٨٨٢ وتعلم فى « مدرسة المعلمين » بباريس ثم بدأ يكتب القصة القصيرة التى لقيت من القراء إقبالا شديداً فخطبت وده مجلات كثيرة محترمة ، وصحف يومية واسعة الانتشار ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبح من أعظم كتاب القصة والأقصوصة فى فرنسا ، ثم جاوزت شهرته حدود وطنه ولقى رواجاً كبيراً فى أمريكا وانجلترا وألمانيا ؛ وأغراه نجاحه فى ميدان القصة بتجربة حظه فى ميدان المسرحية ، وقد وقع اختياره على أحداث التاريخ والقصة الأسطورية القديمة يتخذ منها عقد مسرحياته مع توجيه

الفكرة إلى أهداف حديثة واستغلالها لنقد بعض الظروف العصرية . . . ولعله آثر هذه الطريقة توفيراً للمجهود الذهنى من البحث عن الفكرة الأساسية للمسرحية التى يجدها معدة جاهزة فى الأسطورة أو فى الحادث التاريخى ثم لا يكون عليه بعد ذلك إلا تحميلها مشقة التطبيق على الحادث المشابه العصرى . . . وهو ما سبق أن ذكرنا أن كثيرين غيره من أدباء ما بين الحربين العالميتين قد اهتدى إليه قبل « جيرودو » واتخذ منه وسيلة ناجحة للسخرية بأحوال المجتمع العصرى ونقد ما يشاء من أوضاعه . . وهنا تمتزج الأسطورة القديمة أو الحادث التاريخى بالحياة الواقعيّة الحاضرة . ولم يلبث « جيرودو » أن أصبح أعظم كاتب مسرحى فى فرنسا ، ولا سيما فى الثلاثينات ، أى من سنة ١٩٣٠ إلى ١٩٣٩ ، وهو ما نسميه نحن العرب العقد الرابع من القرن العشرين (وقد توفى « جيرودو » سنة ١٩٤٤) .

ومما يؤثر عن « جيرودو » أنه عين رقيباً عاماً للمطبوعات فى أثناء الحرب العالمية الثانية فكانت عينه لا ترحم ، وكان قاسياً على الكتاب ورجال الصحافة وجميع دور النشر قسوة متناهية ، بل كان يتعسف أحياناً تعسفاً عاد عليه بكراهية رجال الفكر حتى ترك منصبه هذا ولم يستطع أن يدافع عن نفسه بأكثر مما يدافع به سائر من تولوا منصب الرقابه قبله ، ومن لا يزالون يتولونه إلى اليوم . . وذاك هو

تنفيذ التعليمات التى تصدرها الوزارة المسئولة ، ثم ما تقتضيه ظروف الحرب من الاشتداد السخيف فى كل ما يتصل بالظروف غير العادية التى تجتازها البلاد . . .

وبالرغم من هذا استمر «جيرودو» يزود المسرح بالروائع الرفيعة ، واستمر الجمهور مقبلا على مسرحياته بل مفتوناً بها ولعل السر فى ذلك هو إجادته لفكرة المسرحية . . تماماً كما كان يجيد فكرة القصة من قبل ، ثم إجادته رسم شخصياته إجادة تجعلك تشعر كأنه كان يعايشهم وكان طويل الخبرة بهم . . ثم هو يجيد رسم خطة الصراع فى هذه المسرحيات كما يجيد التنقل إجادة فائقة . . وإن لم يتضح هذا بالقدر الكافى فى مسرحيته « إليكترا » التى لجأ فيها إلى الرمز والإلغاز الشديدين

ولعل أشهر ما ضمن المجد «لجان جيرودو» بوصفه أعظم كتاب فرنسا المسرحيين فى فترة ما بين الحربين العالميتين هما مسرحيتاه « سيجفريد » وهى مأساة بارعة قوية ، ثم ملهاته « أمفتريون ٣٨» وبطل المسرحية الأولى يشبه بطل الإلياذة الألمانية الخالدة ، أو ما يسميه الألمان — الـ — نيبلونجنلايد . التى تحكى طائفة من الأساطير الألمانية القديمة وأعظم أبطالها هذا البطل «سيجفريد» الذى سمى الألمان باسمه خطهم الدفاعى المشهور المقابل لخط « ماجينو » على الحدود الألمانية الفرنسية .

و«سيجفريد» فى مأساة «جيرودو» هو جندى فرنسى جرح فى الحرب العالمية الأولى وأنقذته سيدة ألمانية من القتل وعنيت

بعلاجه حتى شفى تماماً . لكنه فقد ذاكرته من هول ما رأى فى المعركة — فقداناً تاماً ، ولم يعد يذكر من لغته وحياته الماضية شيئاً ... وقد أخذ بعد شفائه يحيا على أنه ألمانى .. ثم ينخرط فى صفوف الريخ الألمانى ولا يلبث أن يصبح من أبرز أعضائه والعاملين المخلصين فيه . ولا تمضى سنوات ست حتى يعين وزيراً فى الوزارة الألمانية .. وتنشب بينه وبين زعيم ألمانى آخر يدعى « زيلتن » خصومة يتهمه فيها بأنه ليس ألمانياً ، وإنما هو فرنسى .. ومن ثم تبدأ مرحلة عودة الذاكرة إلى سيجفريد ، أو الضابط الفرنسى « چاك فورستييه» وتنتهى المسرحية ، بأن يعود سيجفريد مع حبيبته إلى فرنسا . إلى منفاه ! . وقد ظهرت هذه المسرحية سنة ١٩٢٩ فأحدثت دوياً كبيراً ، لأنها كانت محاولة لتخفيف ما بين فرنسا وألمانيا من عداوات . . وكان هذا موقفاً من المؤلف لم يعجب الفرنسيين الذين وهموا أنهم هم الذين سحقوا ألمانيا فى موقعة فردان بقيادة مرشالهم «پيتان» . وكانت العداوات قد أخذت تستيقظ من جديد بين الدولتين .

أما المسرحية الثانية وهى ملهاة : « أمفتريون ٣٨ » فقد اقتبسها «جيرودو» عن ملهاة بهذا الاسم للكاتب س. ن. بهرمان ، الذى حاكى بملهاته ملهاة الكاتب الإنجليزى «چون دريدن » ، والتى تحمل هذا الاسم .

وملهاة أمفتريون من الملاهى اليونانية القديمة ، ولعل

أول من كتبها هو «ميناندر» كاتب الملاهى البارع فى فترة الملهاة اليونانية الحديثة . . وقد سجلها لنا الكاتب الرومانى بلوتوس فى درته الخالدة بهذا الاسم أيضاً .

وقد أطلق «جيرودو» على ملهاته اسم « أمفتريون ٣٨ » ظناً منه بأن علاجه للملهاة هو العلاج الثامن والثلاثون منذ أن كتبها ميناندر اليونانى (٣٤٢ — ٢٩١ ق . م) . وليس صحيحاً أنه قصد بالرقم سنة ١٩٣٨ كما أخطأ بعضهم حينما ذهب إلى هذا الزعم ، إذ أنه كتبها وأخرجت سنة ١٩٢٩ .

وملخص ملهاة بلوتوس أن ألكمينا تعاهد أمفتريون على الزواج إذا هو ثأر لها من قاتل إخوتها . . وبعد أن أنفذ أمفتريون ما عاهد عليه حبيبته ويعود من مهمته يرسل عبده سوزيا ليحمل إلى ألكمينا نبأ عودته وبره بما عاهدها عليه حتى يكون هو قد أخذ حمّاماً وغير ملابسه استعداداً للقائها . وينتهز چوپيتر كبير الآلهة هذه الفرصة فيأمر ابنه مركيورى بأن يتخذ صورة العبد سوزيا ، فى حين يتخذ هو صورة أمفتريون . . ويذهب إلى ألكمينا ويقضى معها وقتاً لذيذاً مسرفاً فى اللذة بوصفه زوجها العائد . . ثم يصل أمفتريون الحقيقى . . وهنا ينشأ التعقيد الذى تقوم عليه الملهاة . . التعقيد الذى ينشأ من وجود شخصين يشابه كل منهما أخاه تمام المشابهة شكلا ولوناً وصوتاً ومشاعر . . وكل منهما يتسمى باسم أمفتريون . ثم وجود شخصين آخرين يتسمى كل

منهما باسم سوزيا العبد ويتشابهان كل المشابهة . . .

ويطبّق «جيرودو» ملهاته على ما كان شائعاً فى فرنسا فى ذلك الوقت . . ولا يزال شائعاً — من حوادث الخيانات الزوجية واتخاذ الخليا . . ولا سيما بين رؤساء الدولة !

ومن مسرحيات «جيرودو»، التى أخذ فكرتها من حوادث التاريخ مسرحيته : « حرب طروادة لن تنشب » (١٩٣٥) و « نشيد الأنشاد » (١٩٣٧) و « سادوم وعموره » (١٩٤٣) و « مجنونة قصر شايو » (وقد أخرجت سنة ١٩٤٥ ، أى بعد وفاة المؤلف .

أما مأساته إليكترا Electre فقد ظهرت سنة ١٩٣٧ .

وموضوع المأساة موضوع يونانى مشهور . وأقدم معالجة مسرحيّة[1] له هى المعالجة التى قام بها إسكيلوس وضمنها ثلاثيته الخالدة « الأورستية » ، وهى المأساة التى تتألف من ثلاث حلقات تكوّن كلها موضوعاً واحداً ، والحلقة الأولى منها تصور كيف تآمرت الملكة كلوتمنسترا هى وعشيقها على قتل زوجها الملك أجاممنون ، وقائد الحملة اليونانية على طروادة ، بعد عودته منتصراً من هذه الحرب ، وكان سبب تآمر زوجته عليه هو رضاه بتضحية ابنته الكبرى إفجنيا فى أول تلك الحرب وتقديم دمها قرباناً للآلهة ، وبالأحرى

(١) ممن عالجو الموضوع معالجة قصصية هومر و ستيسخوراس بندار — (د . خ) .

لربّة الصيد ديانا ، تكفيراً عن ذنب أقدم عليه فى الماضى ، وذلك لكى ترضى عنه تلك الربة ، مما أثار سخط زوجته ، ومما كان سبباً لخيانتها له فى أثناء غيابه فى طروادة عشر سنين متتاليات . . فلما عاد قتلته زوجته هى وعشيقها إيجستوس ، كما قتلت الفتاة كسندرا المتنبئة ، وابنة ملك طروادة التى كانت من نصيب أجاممنون من سبايا تلك الحرب . وتقع أحداث الحلقة الثانية من تلك المأساة المروعة بعد قتل أجاممنون بعشر سنوات أخرى ، وذلك حينما يعود الفتى أوريست ابن الملك أجاممنون والملكة كلوتمنسترا ، وأخو إليكترا ، من منفاه ، وفى صحبته رائده بيلاد . . ويكون أوريست الآن قد أصبح رجلا قوياً وفى استطاعته الثأر لأبيه من أمه ومن عشيقها . . اللذين نفياه إذ هو طفل صغير ، حتى لا يعكر عليهما صفو غرامهما بوجوده بالقرب منهما . . .

يعود أوريست فيلقى أخته « إليكترا » عند مقبرة أبيه قبيل الشروق ، وقد أرسلتها أمها لتضع قرباناً على ثرى أجاممنون تهدئة لروحه ، لأنها رأت فى المنام أنها تلد ثعباناً لا تكاد تضعه حتى يلدغها فتموت . . وهى لهذا تهب من نومها مذعورة فتوقظ ابنتها لتذهب إلى قبر أبيها كى تضع على ثراه هذا القربان ، لأنها تؤوّل هذا الثعبان بأنه أوريست ؛ ومن يدرى ؟ لعله يعود قريباً ليلدغها ، ويقضى عليها كى تبوء بإثمها !

ويتعرف الأخ على أخته ، وتعرفه هى أيضاً ، ويبتهجان ابتهاجاً شديداً . . وتسبقه إليكترا إلى القصر لكى تكون جاسوسة له ، ولكى تتخلص من حياة الذل التى كانت تحياها . . .

ويحضر أوريست إلى القصر فى ثياب رسول جاء إلى الملكة بنبأ هام من عند أوريست ، فإذا لقيته الملكة أخبرها أن ابنها قد توفى فتحزن أشد الحزن ، وتوصى الحرس خيراً بالرسولين وتدخل إلى مخدعها للتستريح ، ثم يحضر إيجستوس العشيق الذى يقبض منذ عشرين عاماً على أزمة الأمور فى المدينة ، والذى أذل إليكترا وسقاها الهوان . . يحضر حينما يعلم بمجىء الرسولين ليسمع منهما نبأ وفاة عدوه أوريست الذى لم يكن شبحه يغيب عن عينيه لحظة ، خوفاً منه ورهبة . . . لكنه لا يكاد يتقدم من أوريست ليسمع منه الخبر السار حتى يتلقاه أوريست بضربة تسرع بروحه إلى هيدز — أوحادس — أو الدار الآخرة فيما كان يعتقد اليونانيون .

وتسمع الملكة صراخ عشيقها وهو يحتضر فتأتى مسرعة . وسرعان ما تتبين حقيقة الرسولين ، وتعرف أنها تلقاء الثعبان الذى ولدته منذ ثلاثة وعشرين ربيعاً ، كما ولدته فى المنام الليلة مرة ثانية . . لكنها تلده فى المنام ليلذعها . . وقد تحقق الحلم . . فها هوذا أوريست يعاجلها بضربة تسرع بها نحو هيدز . . غير عابئ بتوسلاتها . . ولا بتهديداتها له بأنه

إذا قتلها . . فالويل له من ربات العذاب اللائى سوف يتبدين له ، ويلاحقنه ، ويسرعن به إلى الجحيم !

ولا تكاد الملكة — أم أوريست — تلقى حتفها ، وتلفظ آخر أنفاسها ، حتى تظهر ربات العذاب . . . تلك الإناث الثلاث الكريهات الشائهات . . ويشرعن يصرخن ويندرن أوريست . . . وهنا . . . يجفل أوريست ويذعر . . . وينطلق قاصداً ضريح أپوللو القريب من القصر ، يستجير به ويتوسل إليه أن ينقذه من أولئك الشريرات .

وبهذا تنتهى أحداث الحلقة الثانية التى هى لباب مأساة إليكترا ، والتى يعالجها من بعد أوريست جميع من عالجوا المأساة فى عصور التاريخ .

فإذا كانت الحلقة الثالثة من الأوريستية ، شاهدنا أوريست وهو خارج من ضريح أپوللو قاصداً فى لهفة ولهوجة ضريح مينرفا ربّة العدالة ، طالباً إليها كما أخبره أپوللو أن تحكم بينه وبين ربات العذاب . وبعد أن تستمع إليه مينرفا تأمر باجتماع محكمة التاسوع . . . أى تاسوع الآلهة . . ومينرفا هى رئيسة تلك المحكمة . . ويحضر أپوللو فيتولى الدفاع عن أوريست وينقض حجة ربات العذاب اللائى لم يثرن ضد كلوتمنسترا عند ما قتلت زوجها ودنست فراش الزوجية بتمرغها فيه مع عشيقها .

وعند ما تؤخذ الأصوات إذا أربعة فى جانب أوريست

وأربعة ضده ؟ . . وهنا تنحاز مينرفا إلى المصوتين مع أوريست وتصدر حكمها ببراءته . . فإذا ثارت ربات العذاب وزمجرن هدأت مينرفا ثورتهن بالسماح لهن بغشيان ضريحها المقدس متى شئن ، ورشتهن بقصر مرجانى عند شاطئ البحر يأوين إليه . . . وبهذا يرضين ، ويستسلمن .

وإذا علمنا أن إسكيلوس كان أول معول هدام للمعتقدات الدينية الخرافية فى اليونان القديمة ، وأنه كان طليعة الفلاسفة السوفسطائيين فيها ، أدركنا السر فى هذه السخرية التى هاجم بها تلك المعتقدات ، ولا سيما على لسان أبوللو وهو يدافع عن أورست أمام محكمة التاسوع .

ويأتى سوفوكلس ، ثانى شعراء اليونان القديمة المسرحيين ، فيتناول المأساة تناولا مركزاً . . . إنه يستغنى عن الحلقة الأولى من ثلاثية إسكيلوس ، وهو يستغنى عن الحلقة الثالثة أيضاً . . ثم هو يركز الأضواء كلها على الحلقة الثانية . . الحلقة التى يحضر فيها أوريست مع رائده «بيلاد» من منفاه لكى ينتقم من أمه ومن عشيقها ، بالقضاء عليهما . . . وذلك بمساعدة إليكترا . . .

ونحن لا نكاد نلمس فارقاً بعيداً فى سوق الأحداث . . وإن كنا نرى أن سوفوكلس يكاد يهمل المنطق والتعليلات العقلية التى كان يلجأ إليها إسكيلوس ، ويوجه جهده كله إلى القلب البشرى . . والمشاعر الإنسانية . . المشاعر التى كانت تغلى فى

صدر إليكترا كما كانت تغلى فى صدر أوريست .

وسوفوكلس يهمل الحلقة الثالثة من مأساة إسكيلوس ، وهى الحلقة التى تعمد هذا أن يتخذها وسيلة لمهاجمة المعتقدات الدينية الأسطورية التى كان يدين بها مواطنوه . . إن سوفوكلس يهمل تلك الحلقة ، لأنه لم يكن فيلسوفاً ولا رجل إصلاح دينى كما كان أستاذه ... بل هو كان شاعراً فناناً . . لا يعرف من الإنسان إلا مشاعره ، وقلبه ، ولا من الفن إلا الناحية الجمالية فيه . . وهو لهذا لم يكن له شأن بالدين صلح أو فسد ، ما دامت أمامه ثورة عاطفية تصلح للشعر وللفن .

ونحن نرى إليكترا فى مأساة سوفوكلس تبرز إلى المقدمة ، بينما الذى يبرز إلى المقدمة عند إسكيلوس إنما هو أخوها أورست .

ثم يأتى يوريبيدز ، ثالث كتاب المأساة العظام من اليونانيين ، فيعالج الموضوع بطريقته الخاصة ، طريقته التى تجمع بين الشعر وبين الفلسفة . إنه لا يطالب بالإصلاح الدينى كما كان يفعل إسكيلوس ، ولا هو يهمل الناحية الدينية ، كما كان يصنع سوفوكلس . . لكنه يحمل معولا كبيراً جداً ليجعل به هذا الدين الخرافى أنقاضاً ، ويدمره تدميراً . . والمعول الذى يحمله يوريبيدز هو معول الجدل والتحليل النفسى . . التحليل الذى يعرض لنا فيه نفسية إليكترا . .

(١٦٧٤ – ١٧٦٢) قد كتب مأساته « إليكترا » (١٧٠٩) فى حادثة مماثلة لحادثة قتل أوريست لأمه .

أما بعد الحرب العالمية الثانية فلعل أهم مسرحية استغل فيها موضوع إليكترا اليونانى القديم هى مسرحية «الذباب» أو «الندم» للكاتب الفرنسى الوجودى «جان بول سارتر» . وقد اتخذ المسرحية أداة خائبة لإثبات أفكاره الوجودية والدلالة على سخف المعتقدات الدينية ودجل الملوك ورجال الدين . والذى نجح فيه «سارتر» فى مسرحيته هو إثبات الناحية الأسطورية فى الديانة الوثنية اليونانية ، لكنه لم ينجح – حتى فى هذا – بالقدر الذى نجح فيه «إسكيلوس» أو «يوريبيدز» العظيم .. والذى أخفق فيه «سارتر» هو أنه لم يقنع أحداً بخطل المعتقدات الدينية النظيفة . . المعتقدات التوحيدية ، التى فيها الخير كل الخير للبشرية . .

والذى يقرأ مسرحية «جان جيرودو» ، ثم يتبعها بمسرحية «جان بول سارتر» ، يلمس من فوره تأثر سارتر بجيرودو ، ذلك التأثر الشديد ، ولا سيما فى الزراية بالدين ورجال الدين وبالآلهة ، ونسبة النفاق الاجتماعى وكل موبقة تزرى بالقيم الإنسانية إلى الدين ورجاله . . بل لعل الأثر الوجودى الواضح فى مسرحية «سارتر» يكاد يكون منقولا من مسرحية «جيرودو» التى تشتمل على (مواقف) كثيرة نرى فيها أوريست وهو يحاول إقناع أخته إليكترا بأن تصحبه بعيداً عن

هذا القصر وعن مدينة آرجوس كلها إلى قصره المنفرد فى «تساليا» .. القصر الذى ينعم بأرج الورود وتحوطه السعادة بعيداً عن أيدى أنثى الأخطبوط الشنيعة الواقفة لها بالمرصاد (المشهد الثالث — الفصل الثانى) .

إن أوريست هنا يرى فى أول المسرحية ، وهو شاب لا شأن له بذلك الماضى المثقل بالدماء والثارات . . إنه يريد أن يستقل بحياته ، وأن يقطع ما بينه وبين ماض لا شأن له به . . تماماً كما يدعو « سارتر » . . ولكن أخته لا تزال به حتى توقظ فيه تلك الغرائز القديمة الفتاكة وحتى يستجيب لها آخر الأمر . . فها هوذا يقتل أمه ويقتل عشيقها إيجستوس ويطهر آرجوس مما تفشى فيها من زنا وإفك وشرور وخرافات وينقذ الشعب الذى أصبح كله شعباً من الشحاذين البائسين والمرضى الجياع الذين يسخرهم إيجستوس لشهواته باسم الدين وباسم الانصياع لأوامر الآلهة . . وما أوامر الآلهة إلا شهوات المالكين وذوى المآرب . . . وهو ما تلخصه « إليكترا » فى المشهد الثامن من الفصل الثانى وهى تحاور « إيجستوس » وهو يسألها عما إذا كانت ترتاب فى صراحته فتقول له :

« . . . بل لست أرتاب فى ذلك . . غير أنى أتوسم فى صراحتك هذه نفاق الآلهة وختلها . . لقد حولت الآلهة كل شخص طفيلى فجعلته عادلا . . وكل زان فاسق فجعلته

تلك النفسية الناقمة التى ضاقت ذرعاً بأفعال أمها ودعارات عشيقها ، مما يورث الفتاة النقمة واللدد ، ويجعلها تتشوق إلى عودة أخيها المنفى لكى تدفعه دفعاً إلى قتل أمها وسفك دم عشيقها . . ثم نفسية أوريست هذا الفتى الذى ذاق فى منفاه ما ذاق من الألم ، والذى كان رائده «بيلاد» يسمم نفسه كل يوم وطوال هذه الأعوام بما يرويه له من غدر أمه وأحاديث تقلبها بين أحضان رجل غير والد أوريست . . فإذا عاد أوريست كان لعبة فى يد أخته توجهه لما تشاء من الانتقام لأبيه . . . ثم نفسية كلوتمنسترا نفسها . . تلك الأم التى لها ضميرها هى أيضاً ، والتى كانت تتوق إلى التوبة ، لو وجدت إلى التوبة سبيلا لا يكلفها روحها ودمها !

بهذا امتلأت مأساة يوريبيدز . . تحليلا بعد تحليل بعد تحليل . . مما جعل اليونانيين أنفسهم يضيقون بها ذرعاً ، ويعدونها أتفه مآسى الشاعر العظيم قيمة ، وإن تكن فى نظرنا اليوم من أروع مآسيه .

إن يوريبيدز لا ينظر إلى شخصيات المأساة نظرة البطولة التى نظر بها إليهم سوفوكلس ، ولا نظرة الإصلاح الدينى التى كانت نظرة إسكيلوس . . لكنه نظر إليهم على أنهم بشر . . تدفعهم عوامل طالما عصفت بنفوسهم . . عوامل كان يسميها اليونانيون قضاء وقدراً . . وجاء يوريبيدز بتفكيره التقدمى فسماها أحكام بيئة ، وميراث آباء ،

وأمهات ، ومقتضيات ظروف لا بد أن تخلق من ضحاياها هذا الذى خلقته من كلوتمنسترا ومن أوريست ومن إليكترا ، دون أن يكون للآلهة أى نصيب فى ذلك كله ! ويوريبيدز ينكر قتل الأم ويستبشعه ، وهو فى هذا على الضد من أستاذيه السابقين : إسكيلوس وسوفوكلس . . ولعل الذى يتوسع فى دراسة يوريبيدز يلاحظ أنه فى مأساة « إفچينيا » وإفچينيا هى أخت إليكترا التى يقال إن أباها قد ضحى بها تكفيراً عن ذنبه ، قد أنقذ الفتاة من الذبح ، وذلك بأن جعل الربة ديانا ترسل غزالا ليذبح مكان الفتاة وبدلا منها . تماماً كما حدث فى قصة إبراهيم وولده إسماعيل كما نؤمن نحن المسلمين ، أو ولده إسحق كما يؤمن اليهود . . فلماذا صنع يوريبيدز هذا ؟ إنه فعله لكى يبرئ أجاممنون من قتل ابنته ، وبهذا يهدم وزر الوالد ويلغيه ، ويلقى بتبعة الحوادث الدامية التى نشأت عن ذلك على قاتلى « أجاممنون » .

* * *

وممن كتبوا عن إليكترا فى تاريخ المسرح الحديث الكاتب المسرحى النمسوى «هوجو فون هوفما نستال» (١٨٧٤ — ١٩٢٩) وقد استغل المأساة فى موضوع عصرى مماثل .

ومنهم الكاتب المسرحى الأسبانى «بنيتو بيريز جالدوز» (١٨٤٥ — ١٩٢٠) .

وكان الكاتب المسرحى الفرنسى «جوليو دى كريبيون»

زوجاً . . وكل مغتصب فجعلته ملكاً . . . لقد جعلوك أنت . . . أيها الرجل الذى أحتقرك ، مثالاً خالصاً للشرف . . . ولكن . . . لا . . . إن هناك ما تعجز آلهتك عن القيام به . . . ذلك هو أن يجعلوا المجرم بريئاً ! . . . »

وهناك أوجه كثيرة للشبه فى المسرحيتين ، وقد جعل « سارتر » كبير الآلهة « جوبيتر » فى مسرحيته « الذباب » يتنكر فى صورة آدمى سماه « ديمتريوس » . . الذى يكاد يكون هو شخصية « السائل » فى مسرحية « چيرودو » لولا أن السائل يسعى إلى دفع « أوريست » إلى الانتقام من المجرمين بينما « ديمتريوس » يحاول منعه من هذا ، ليظل الشعب فى آلامه ، أى قاذوراته الدينية . . و « چيرودو » هو أول من وصف اليومينيدز « ربات العذاب » بالذباب وعنه أخذ « سارتر » هذه التسمية التى لا نجدها فى أية مسرحية « لإليكترا » غير هاتين المسرحيتين . ولعل فكرة استخفاء « جوبيتر » فى صورة آدمية قد نقلها « سارتر » عن سلفه الذى أخفى اليومينيدز فى صورة الفتيات الشابات . والذى يقوم بدور الملحد عند « چيرودو » هو « إيچست » مرة ثم « إليكترا » مرة ثانية ، بينما الملحد عند « سارتر » هو « أوريست » الوجودى وأستاذه « بيلاد » .

و « جيرودو » يحاول كسر شكيمة « إليكترا » بتزويجها

من بستانى قصر أبيها أى إنزالها من مراتب الإمارة والملك إلى مراتب الخدم . . وكذلك فعل « سارتر » الذى جعل « إليكترا » تغسل له بلاط حمامه . . بل تغسل له ألبسته ! !

والأحاديث كلها التى تجرى بين « إليكترا » وبين أمها تكاد تكون ذات لهجة واحدة فى المسرحيتين . . وذات هدف واحد . . بين أم عاصية فاسقة منحرفة جرفتها شهوات نفسها . . وبين ابنتها التى صممت على الانتقام لأبيها ولا تألو جهداً من السخرية بأمها وبماضيها وبحاضرها .

وثمة مشابه غير هذه تدل على تأثر « سارتر » بسلفه « چيرودو » ، وإن كتب « سارتر » مأساته لغير الغرض الذى توخاه سلفه ، وإن كان الغرضان يكادان يلتقيان أحياناً .

* * *

ولعل أهم الأسباب التى جعلت « چيرودو » يختار موضوع « إليكترا » لكتابة مسرحيته تلك هو ما كانت فرنسا تعانيه فى الوقت الذى كتبت فيه المأساة من انهيار فى كل شىء . . فى أخلاقها وسياساتها وتعدد أحزابها وتحكم الشهوات فى مقومات حياتها وفى مقاليد الحكم فيها وانهيار اقتصادياتها . . ثم هذه الطراوة وذلك التهتك الذى شاع فى نفوس شبابها ويأس ملايين النساء اللائى ترملن بسبب الحرب الأولى وكن مصدراً للفساد والإغراء بدافع

الفاقة والحاجة ، وفقد الكثير من النساء والرجال فلذات أكبادهم فى حرب طويلة لم تعد على فرنسا إلا بالوبال وإن قيل إنها انتصرت فيها .

لقد كانت فرنسا فى تلك الآونة مثل « آرجوس » تماماً . . . « آرجوس » التى ذهب عنها ملكها . . ملك الملوك . . أجاممنون . . ليحارب أهل طروادة . . تاركاً على عرشه تلك المرأة « كلوتمنسترا » . . التى جرح قلبها بقتله ابنتها ترضية للآلهة فى زعم رجال الدين المخرفين . . مما جعل المرأة تتنمر له ، وتستدعى ابن عمه « إيجستوس » ، وهو ألد أعدائه ، فتجعله وصياً على العرش ، وتقضى معه عشر سنين فى حياة هى السفاح بعينه ، حتى إذا عاد زوجها دبرت له تلك القتلة الشنيعة ليخلو لها وجه عشيقها ولتصفو لهما دنيا الخنا .. نافية ابنها « أوريست » ، مذلة ابنتها « إليكترا » ... حتى إذا مضت ثمانى سنين أخرى ، وبلغت المدة التى غاب فيها «أجاممنون» عن الدنيا ثمانى عشرة سنة أو نحوها .. تماماً كما مضت مثل هذه المدة منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها سنة ١٩١٨ إلى أن ظهرت مأساة « جيرودو » سنة ١٩٣٧ . . وعاد « أوريست » لكى ينتقم ، ولكى يقضى على ذلك الفساد الذى انتشر فى « آرجوس » كما انتشر فى فرنسا . . الفساد الذى سرى فى الحكم ثم انتقل من الحكم إلى كل شىء ، ولا سيما إلى الأخلاق . . وأصبحت الفلسفة

هى التى تعبر عنه وتنطق باسمه ؟ . واتهم الدين باتهام رجاله ، وانهار بانهيارهم ، ولم يعد بد من تغيير يطرأ على كل شىء فى « آرجوس » ، كما لم يعد بد من تغيير يطرأ على كل شىء فى فرنسا . . ومن هنا كانت مأساة « إليكترا » فصلا فى خطة الإصلاح التى وضعها « جان جيرودو » نصب عينيه ، تلك الخطة التى كان من فصولها هذه المسرحيات التى أشرنا إليها آنفاً ، والتى كانت « إليكترا » معول الهدم فيها ، وصيحة السخرية من رجال الحكم وأساطين السياسة والتنديد بهم بتلك الصورة الرمزية التى تشتد فى غموضها أحياناً لكثرة أصدقاء « جيرودو » بين الساسة الفرنسيين وبين رجال الحكم بخاصة ، مما جعله يؤثر الرمز ويلجأ إلى المجاز ، ومما جعل المسرحية فى كثير من الأحيان تكاد تتعثر وتعسر على الأفهام ؛ ومما جعل كثيراً من الفرنسيين يضيقون بالمسرحية التى رفعت عن وجوههم أقنعة النفاق وصورت حالهم فى تلك الصورة المؤلمة المخزية ، التى جعلت الحاكمين زناة وفسقة ووصوليين ، ورجال القضاء لعبة ومنحرفين عن جادة العدل والحق ، وجعلت الأزواج قوادين وفسّاقا والزوجات أثقل وزراً من أزواجهن وأشد خيانة . . . أما الشعب الذى تقع النتيجة كلها على رأسه فقد أصبح شعباً من المتسولين المسخرين الذين ينتظرون أول صيحة ليهبوا من بؤسهم ، وليدمروا كل

شيء ، ويحرقوا كل شيء . . كما فعل أهل « آرجوس » .

إننا إذا أنعمنا النظر فى الحوار الذى يدور بين إيجستوس وبين السائل فى المشهد الثالث من الفصل الثانى ، لما شككنا فى أن « چيرودو » كان يصف حالة الحكم فى فرنسا فى ذلك الوقت الذى كان يكتب فيه المأساة ، وإن كان يصفه بتلك الطريقة الرمزية الملفوفة التى أشرنا إليها . إنه يصف كيف تتحكم الشهوات الخاصة والمصالح الذاتية فى مصائر أمة بأسرها . . وكيف ينظر أصحاب هذه المصالح والشهوات إلى سواد الأمّة . . إنهم فى نظرهم قنافذ وحشرات تدوسهم مواكب السادة دون أن يحفلوا بمن يموتون منهم . . وهم بعد أن يقتلوهم ينسبون موتهم إلى المقادير ومشيئات الآلهة . . ثم هم يحكمونهم بطرق شيطانية يجعلون من أهمها أن يظل هذا السواد المسكين فى جهل خرافاته ، وأن تظل عنايته الكبرى بالتوافه وبكل عقيم من الصغائر التى لا تقدم ولا تؤخر من شتى التقاليد والعادات والمراسم والشعائر التى وضعها الدجالون والمشعوذون . . تماماً كما كانت الحال فى فرنسا بين الحربين العالميتين وكما لا تزال حتى اليوم . . لا فى فرنسا وحدها . . بل فى أكثر دول أوربا ، وفى معظم البلاد الشرقية بكل أسف . . ومن هنا قيمة هذه المسرحية التى نرجو أن نرى فيها الكثير من عيوبنا ، بالرغم مما فيها من رموز ومجازات .

ومما يعيبه النقاد على تلك المسرحية غير رموزها ومجازاتها التجاء الكاتب إلى المنولوجات الطويلة المملّة التى أصبح المسرح الحديث ينكرها ويهرب منها . ثم التجاؤه إلى السرد القصصى فى كثير من المواقف ، ولا سيما على لسان السائل ، الذى يكاد يقوم هنا بوظيفة الكورس ورئيس فرقة المنشدين فى المأساة اليونانية ، ووظيفة الرسول عند « يوريبيدز » . الرسول الذى كان يسرد علينا من الحوادث ما يعسر أو ما يستحيل إخراجه على المسرح ، كما يسرد علينا شطراً من المسرحية توفيراً للوقت وإيجازاً للفعل Action ، ومما لا شك فيه أن اليونانيين كانوا سادة هذا الفن الذى كان يأتى وسط عواصف من الصراع الساخن الذى يبهر الأنفاس ، وهو ما تفتقر إليه مسرحية « جان جيرودو » . . ولعل السبب فى افتقارها إليه ناشئ من تلك الرمزية القاتمة التى لجأ إليها الكاتب .

دريني خشبه

أشخاص المسرحية

حسب ترتيب ظهورهم على المسرح

الأومينيدات[1] الصغيرات

أوريست

الخادمان

الشبان المدعوون إلى حفلة الزفاف

البستانى

أجات

رئيس المحكمة

---

(١) الأومينيدات Eumenides هن فى الأساطير الهيلينية ثلاث إلهات مكلفات بتعقب المجرمين فى كل مكان دون أن يتركن لهم أية فرصة للراحة أو للهدوء وهن يدعون فى بعض . . المآسى الهيلينية بالإرينيز Erinyes أو الفيرى Furies ، أى الإلهات المزعجات . ويحدثنا إسكيلوس فى مأساته « الأومينيدات » كيف تعقبن أوريست تعد جنايته وجعلن يصبنه بالخبل حتى لجأ إلى حماية الإلهة أثينيه (مينرفا) فأمرت بعرض أمره على المحكمة العليا فأصدرت حكمها ببراءته . وإذ ذاك هدأت الإلهات المزعجات . ومنذ ذلك الحين أطلق عليهن اسم « الأومينيدات » أى المحسنات . وفى مسرحيتنا هذه يعالج المؤلف تلك الأسطورة بحرية ، ولكن المهمة الأساسية لهؤلاء الإلهات لا تزال تبدو من خلال هذه المسرحية العصرية حيث يحاولن بكل الوسائل إبعاد أوريست عن اقتراف جناية القتل ويجتهدن فى صرفه عن الانزلاق فى الهوة التى تود أخته العنيفة إليكترا أن تدفعه إليها بدافع الانتقام . (المترجم) .

إيجيست
السائل
كليتيمنيستر
إليكترا
تابعة إليكترا
الشباب المغرم بأجات
الأومينيدات
الضابط
الجاويش
جندى
ياور إيجيست
زوجة نارسيس
سائلون

الفصل الأول

المشهد الأول

ثلاث صبيات ، الأجنبى ، البستانى .

[يدخل أجنبى (أوريست) تتبعه ثلاث صبيات فى اللحظة التى يصل فيها من الجانب الآخر البستانى فى ملابس الحفل ، والمدعوون القرويون] .

الصبية الأولى : ما أجمل البستانى . . !

الصبية الثانية : طبعاً ! هذا يوم زواجه .

الصبية الثالثة : ها هو ذا يا سيدى ، قصر أجاميمنون الذى تبحث عنه !

الأجنبى : ما أغرب واجهته ! . . . هل هى مستقرة على دعائمها ؟

الصبية الأولى : كلا فالجانب الأيمن منه غير موجود ، ويحسب الناس أنهم يرونه ولكن هذا سراب ، وسراب أيضاً حال البستانى الذى تراه قادماً يريد أن يتحدث إليك ، وأنه مع ذلك قد لا يأتى ، وإذا أتى فقد لا يستطيع

أن يقول كلمة واحدة . وقد ينهق أو يموء .

البستانى : إن الواجهة مستقرة على دعائمها أيها الأجنبى ، فلا تستمع إلى هؤلاء الكاذبات . إنما الذى يخدعك هو أن الجانب الأيمن مبنى بأحجار من بلادالغال ترشح فى أوقات معينة من السنة . وعند ذلك يقول أهل المدينة : إن القصر يبكى ، بينما أن الجانب الأيسر مصنوع من رخام أرجوس الذى يضىء بغتة حتى فى الليل دون أن يعرف أحد ألبته لماذا ، وحينئذ يقولون : إن القصر يضحك ؛ والذى يحدث فى هذه الآونة أن القصر يضحك ويبكى فى الوقت ذاته ؛

الصبية الأولى : إنه بهذا يقطع الشك باليقين ؛

الصبية الثانية : إنه قصر أيم بمعنى الكلمة ؛

الصبية الأولى : أو قصر ذكريات طفولة .

الأجنبى : إنى لا أذكر أن هذه الواجهة تنطق بهذه المعانى كلها .

البستانى : هل زرت القصر سابقاً ؟

الصبية الأولى : زاره فى مبدأ طفولته ؛

الصبية الثانية : منذ عشرين سنة ؛

الصبية الثالثة : إنه لم يكن يمشي بعد .

البستانى : لا بد للمرء مع ذلك أن يتذكره إذا كان قد رآه .

الأجنبى : كل ما أذكره من قصر أجاميمنون هو أرضية من أحجار ملونة وأنهم كانوا يضعونني فوق فسيفساء على صورة النمر داخل إطار رباعى حين أكون غير مطيع ، وعلى صورة الزهور — داخل إطار سداسى — حين أكون عاقلا ، وإنى لأذكر الطريق الذى كنت أقطعه حبواً من أحدهما إلى الآخر ماراً بصورة الطيور .

الصبية الأولى : وبجعل .

الأجنبى : كيف تعرفين ذلك أيتها الصغيرة ؟

البستانى : هل كانت أسرتك تقيم فى أرجوس ؟

الأجنبى : وأذكر كذلك كثيراً من الأقدام العارية ، ولا أذكر أى وجه . إذ أن الوجوه كانت عالية فى السماء ، ولكنى أذكر الأقدام العارية فحسب ، ولقد كنت أحاول — من بين شراريب الملابس — أن ألمس خلاخيلها الذهبية ، وكانت بعض الأرجل مقيدة بالأغلال ، وهى أرجل العبيد .

وأذكر على الأخص قدمين دقيقتين ناصعتى البياض ، وهما أكثر الأقدام انكشافاً وأشدها بياضاً ، وكانت خطواتهما دائماً متساوية متزنة كأنها مقيسة بسلسلة غير مرئية . وإننى أتخيل أنهما كانتا قدمى إليكترا . ولا بد أن أكون قد قبلتهما ، أليس كذلك ؟ لأن الرضيع يقبل كل ما يلمسه .

الصبية الثانية : على أية حال تلك هى القبلة الوحيدة التى تلقتها إليكترا .

البستانى : أما هذا فهو يقينى .

الصبية الأولى : أنت غيور ، أليس كذلك أيها البستانى ؟

الأجنبى : ألا تزال إليكترا تقيم فى القصر ؟

الصبية الثانية : لا تزال ، ولكن لا إلى وقت طويل .

الأجنبى : أهذه هى نافذتها ، النافذة ذات الياسمين ؟

البستانى : لا ، هذه نافذة الحجرة التى قتل فيها أتريه أول ملوك أرجوس أبناء أخيه تييست .

الصبية الأولى : والمأدبة التى قدم فيها قلوبهم كانت فى القاعة المجاورة . إننى أود أن أعرف ماذا كان طعمها .

الصبية الثالثة : هل قطعها أو طبخها صحيحة ؟

الصبية الثانية : وكاساندر[1] خنقت فى المرصد .

الصبية الثالثة : لقد ألقوا عليها شبكة . وطعنوها ، وكانت تصرخ كأنها مجنونة فى تلك الشبكة . . . وكنت أود أن أرى ذلك .

الصبية الأولى : كل ذلك حدث فى الجناح الذى يضحك ، كما تلاحظ .

الأجنبى : هل هى النافذة ذات الورود ؟

البستانى : أيها الأجنبى لا تبحث عن أية علاقة بين النوافذ والزهور . إننى بستانى القصر ، وإننى أزين النوافذ بالزهور حسب المصادفة هى كلها زهور .

الصبية الثانية : ليس الأمر كذلك ، فهناك زهور وزهور ، ومن ثم فإن « زهرة الفلوكس » . لا تلتئم مع مأساة تييست .

الصبية الثالثة : وكذلك « ثمر الحنة » مع مأساة كاساندر .

البستانى : هل سيصمتن ؟ إن النافذة ذات الورود أيها الأجنبى هى نافذة حجرة الحمام الذى

---

(١) كاساندر هى ابنة بريامو س (پريام) ملك طروادة وكاهنة ابولون التى تبلغ الوحى الصادر منه وقد استولى عليها أجاميمنون عند هزيمة الطرواديين ولما عاد بها إلى أرجوس وقتل غدراً قتلت زوجته هذه الفتاة الجميلة الأسيرة غيرة منها . ومما يلفت النظر أن اسم كاساندر قد بقى رمزاً للتنبؤ بالشؤم حتى الآن (المترجم) .

انزلق فيه ملكنا أجاميمنون والد إليكترا عند ما عاد من الحرب وقتل بسقوطه على سيفه .

الصبية الأولى : إنه حمم بعد موته والفرق دقيقتان .

البستانى : ها هى ذى نافذة إليكترا .

الأجنبى : لماذا هى عالية إلى هذا الحد ، فى القمة تقريباً ؟

البستانى : لأن قبر والدها يرى من هذا الطابق .

الأجنبى : لماذا فى هذه العزلة ؟

البستانى : لأن هذه هى الحجرة القديمة التى كانت لأوريست الصغير ، أخيها الذى أرسلته أمه خارج البلاد عند ما كانت سنه سنتين ، والذى لم يعد لدى أحد شىء من أخباره .

الصبية الثانية : استمعا ، استمعا يا أختىّ ! إنه يتحدث عن أوريست الصغير !

البستانى : ارتحلن من هنا ! اتركننا ! كأنهن ذباب .

الصبية الأولى : لن نرتحل ، إننا مع الأجنبى .

البستانى : أتعرف هؤلاء الصبيات ؟

الأجنبى : التقيت بهن عند أبواب المدينة ، فتبعنى .

الصبية الثانية : تبعناه لأنه يروقنا .

الصبية الثالثة : لأنه أجمل منك كثيراً أيها البستانى .

الصبية الأولى : والديدان لا تخرج من لحيته .

الصبية الثانية : ولا الجعارين من أنفه .

الصبية الثالثة : لكى تكون رائحة الزهور عطرة ، ينبغى بلا شك أن تكون رائحة البستانى كريهة .

الأجنبى : كن مؤدبات أيتها الطفلات ، وقلن لنا ماذا تعملن فى الحياة ؟

الصبية الأولى : إن عملنا فيها ، هو ألا نكون مؤدبات .

الصبية الثانية : نحن نكذب ونقدح ونشتم .

الصبية الأولى : ولكن اختصاصنا هو أن نتلو .

الأجنبى : ماذا تتلون ؟

الصبية الأولى : إننا لا نعرف ذلك مقدماً ، وإنما نحن نبتدع بقدر ما نتلو ، ولكن ما نتلوه حسن جداً جداً . وملك ميسين الذى شتمنا قريبته قال لنا إن ما قلناه حسن جداً جداً .

الصبية الثالثة : إننا نقول كل السوء الذى نستطيع أن نجده .

البستانى : لا تستمع إليهن أيها الأجنبى ، فلا يعرف أحد من هن ، إنهن يذرعن المدينة منذ يومين بلا أصدقاء معروفين ، وبلا أسرة ! وإذا سألهن أحد : من هن ، يدعين أنهن يدعون « بالأومينيـــدات الصغـــيرات » والشيء المرعب هو أنهن يكبرن ويسمن على مرأى

العين . فبالأمس كن أصغر منهن اليوم سنين . . . تعالى هنا أنت .

الصبية الثانية : يا له من متوحش على خلاف العرسان .

البستانى : انظر إليها . . . انظر إلى هذه الأهداب التى تنبت . انظر إلى صدرها . إننى متخصص فى ذلك ، وعيناى تعرفان كيف ينبت عش الغراب . . . إنها تكبر على مرأى العيون . . . وفى سرعة نبات الفطر المسمم .

الصبية الثانية : إن النباتات السامة تفوق الرقم القياسى .

الصبية الثالثة : [متجهة إلى الأولى] هل يتمو صدرك أنت ؟

الصبية الأولى : هل نتلو أو لا نتلو ؟

الأجنبى : دعهن يتلون أيها البستانى .

الصبية الأولى : لنتل شيئاً عن كليتيمنيستر والدة إليكترا . أأنتما مستعدتان ؟

الصبية الثانية : نحن مستعدتان .

الصبية الأولى : الملكة كليتيمنيستر ساء لونها ، هى تصبغ وجهها بالحمرة .

الصبية الثانية : لونها ساء لأن نومها ساء .

الصبية الثالثة : نومها ساء لأنها خائفة .

الصبية الأولى : مم تخاف الملكة كليتيمنيستر ؟

الصبية الثانية : من كل شيء .

الصبية الأولى : ما هو كل شيء ؟

الصبية الثانية : الصمت ، كل أنواع الصمت .

الصبية الثالثة : الضوضاء ، كل أنواع الضوضاء .

الصبية الأولى : إنها تخاف من فكرة أن منتصف الليل يدنو ، وأن العنكبوتة فى نسيجها تمضى الآن من جزء اليوم الذى تحمل فيه السعادة إلى الجزء الذى تحمل فيه الشقاء[1] .

الصبية الثانية : إنها ترهب كل ما هو أحمر لأنه دم .

الصبية الأولى : الملكة كليتيمنيسترّ ساء لونها ، هى تصبغ وجهها بالدم !

البستانى : أية قصة غبية !

الصبية الثانية : هذا حسن أليس كذلك ؟

الصبية الأولى : بما أننا نربط البدء بالنهاية ، فتلك صورة شعرية .

الأجنبى : هذا شائق جداً .

الصبية الأولى : ما دامت إليكترا تهمك ، فإننا نستطيع أن

---

(١) يشير المؤلف هنا إلى المثل الشعبى الفرنسى الشهير Araignée du soir, espoir Araignée du matin, chagrin أى أن رؤية العنكبوتة ليلا تحمل الأمل ورؤيتها صباحاً تحمل الهم. ومعنى هذا أن كليتيمنيسترّ تضطرب من فكرة رؤية العنكبوتة فى الصباح ، وهو ما يلى منتصف الليل مباشرة (المترجم) .

نتلو شيئاً عن إليكترا فهل أنتما مستعدتان يا أختى ؟ إننا نستطيع أن نتلو ما كانت عليه إليكترا فى سنى عمرنا .

الصبية الثانية : نحن مستعدتان .

الصبية الثالثة : من قبل أن نولد ، أى منذ أول أمس نحن مستعدتان .

الصبية الأولى : إليكترا تلهى بأن تسقط أوريست من ذراعى أمه .

الصبية الثانية : إليكترا تدهن بالشمع سلم العرش لكى ينبطح على الرخام عمها إنجيست الوصى !

الصبية الثالثة : إليكترا تستعد لأن تبصق على وجة أخيها الصغير أوريست إذا عاد ذات يوم .

الصبية الأولى : ليس ذلك حقاً . ولكنه قول له وقع مؤثر .

الصبية الثانية : إنها منذ تسعة عشر عاماً تجمع فى فمها بصاقاً ممتزجاً بالمرارة .

الصبية الثالثة : إنها تفكر فى حشراتك الكريهة أيها البستانى لكى يتجمع فى فمها لعاب أكثر .

البستانى : إلى هنا اصمتن أيتها الحيات الخبيثات الصغيرات !

الصبية الثانية : يا لله ! العروس يغضب .

الأجنبى : إنه محق ، انصرفن على عجل .

البستانى : ولا تعدن .

الصبية الأولى : سنعود غداً .

البستانى : إذا حاولتنّ ذلك فويل لكنّ ! القصر محظور على طفلات فى سنّكن !

الصبية الأولى : غداً سنصير كبيرات .

الصبية الثانية : غداً سيكون اليوم التالى لزواج إليكترا ببستانيّها ، وسنكون كبيرات .

الأجنبى : ماذا يقلن ؟

الصبية الأولى : إنك لم تدافع عنا أيها الأجنبى ، وستندم على ذلك !

البستانى : أيتها الحيوانات الفظيعات الصغيرات كأنهن ثلاث باركات[1] صغيرات ! إن منطق القدر من فم طفل أمر مخيف .

الصبية الأولى : تعاليا يا أختى ، ولندعهما كليهما أمام واجهتهما التالفة .

[تخرج الأومينيدات الصغيرات]

---

(١) الباركات « Parques » هن فى الأساطير الهيلينية ثلاث من ربات الجحيم ، وهن : كلوتو ، ولاكيزيس ، وأتروبوس . وقد وكلت إليهن السيطرة على الحياة البشرية التى رمز إليها بنسيج من القماش . فالأولى تزيد عملية الولادة أو نشأة خيوط القماش ، والثانية تغزل هذه الخيوط ، والثالثة تقطعها . (المترجم)

المشهد الثانى

الأجنبى ، البستانى ، رئيس المحكمة ، زوجته الشابة أجات .

الأجنبى : ماذا تقول أولئك الصبيات ؟ أيقلن إنك تتزوج إليكترا أنت ، البستانى ؟

البستانى : ستصير زوجتى بعد ساعة .

أجات : لن يتزوجها ، نحن أتينا لنمنعه من ذلك .

الرئيس : أيها البستانى إننى قريبك ، ورئيس ثان للمحكمة . ومن حيث إنى أستطيع بهذه الصفة المزدوجة ، أن أقدم إليك نصيحة ، ففر نحو فجلك ويقطينك ، ولا تتزوج إليكترا

البستانى : ذلك أمر إيجيست .

الأجنبى : أصرت مجنوناً ؟ لو كان أجاميمنون يعيش ، لكان زواج إليكترا هو الاحتفال الرسمى لإغريقا . وها هو ذا إيجيست يعطيها لبستانى حتى أسرته تحتج على ذلك ! لن تقولوا لى إن إليكترا دميمة أو حدباء .

البستانى : إليكترا أجمل فتيات أرجوس .

أجات : على أية حال ، ليست دميمة .

الرئيس : أما قامتها فهى مستقيمة ككل الزهور التى لا تؤمن بالشمس[1] .

الأجنبى : إذا لم يكن الأمر كذلك أفهى متأخرة العقل أم بلا ذكاء ؟

الرئيس : إنها الذكاء ذاته .

أجات : لديها على الأخص كثير من الذاكرة ، وليس الذكاء والذاكرة شيئاً واحداً . أما أنا فليس عندى ذاكرة إلا فيما يتعلق بيوم عيد ميلادك يا حبيبى ، فهذا لا أنساه ألبتة .

الأجنبى : ماذا تستطيع أن تفعل ، وماذا تستطيع أن تقول حتى تعامل على هذا النحو ؟

الرئيس : هى لا تفعل شيئاً ، ولا تقول شيئاً ، ولكنها هنا .

أجات : إنها هنا .

الأجنبى : هذا حقها ، فذلك هو قصر والدها ، وليس ذنبها أنه مات .

البستانى : لم أكن ألبتة أجرؤ على أن أفكر فى أن أتزوج إليكترا ، ولكن ما دام أن إيجيست يأمر بذلك ، فإننى لا أرى أنْ لدى ما أخشاه

---

(١) يشير المؤلف هنا إلى أن الزهور التى تعبد الشمس ، تنحنى نحوها فتفقد اعتدال قوامها وتحدودب . (المترجم)

الرئيس : توقع كل شر ، لأنها نموذج المرأة المثيرة للمتاعب .

أجات : لو كان الأمر يخصك وحدك لهان الخطب ، ولكن أسرتنا لها كل الحق فى أن تخاف .

البستانى : أنا لا أفهمك .

الرئيس : ستفهمها : يمكن أن تكون الحياة جد لذيذة أليس كذلك ؟

أجات : لذيذة جداً . . . لذيذة إلى غير نهاية .

الرئيس : لا تقاطعينى يا عزيزتى ، وعلى الأخص لكى تقولى نفس الشىء يمكن أن تكون لذيذة ، فبالحرى كل العقد فى الحياة تجد لها حلولا . والألم المعنوى يلتئم فيها أسرع من القرحة والحداد أسرع من تورم الجفون . ولكن أختبر على وجه المصادفة فريقين من بنى الإنسان ! يحتوى كل واحد منهما على نفس المقدار من الجرائم ، والكذب والرذائل والزنى . . .

أجات : تلك كلمة كبيرة كلمة الزنى يا عزيزى . .

الرئيس : لا تقاطعينى ، وعلى الأخص لكى تعارضينى من أين يأتى أن الحياة عند أحد هذين الفريقين تنساب عذبة محتشمة ، وأن الموتى

ينسون ، والأحياء يذللون مصاعبهم فيما بينهم ، فى حين أن الحياة عند الفريق الآخر هى الجحيم ... ذلك بكل بساطة لأنه توجد فى الفريق الثانى امرأة تثير المتاعب .

الأجنبى : ذلك لأن الثانى لديه ضمير .

أجات : إنى أعود إلى كلمتك : الزنى ، فهى مهما يكن كلمة كبيرة .

الرئيس : اسكتى يا أجات . ضمير ! هل تظن ذلك ، فإذا كان الجناة لا ينسون آثامهم ، والمنهزمون لا ينسون هزائمهم ، والظافرون لا ينسون انتصاراتهم ، وإذا ارتفع رأس اللعنة والخصام والكراهية فليس الذنب راجعاً إلى أن للإنسانية ضميراً ، فإنها تميل بطبيعتها إلى المصالحة والنسيان ، بل إلى وجود عشر أو خمس عشرة امرأة تثير المتاعب .

الأجنبى : إنى على رأيك ، فعشر أو خمس عشرة امرأة مغامرة ، قد أنقذن العالم من الأنانية .

الرئيس : أنقذته من السعادة ! إنى أعرفها ، إليكترا ! فلنقر أنها كما تقول ، أى هى العدالة والكرم والواجب ، ولكن بالعدالة والكرم والواجب ، تدمر الدولة والفرد

وأفضل الأسر ، وليس بالأنانية وعدم المبالاة .

أجات : تماماً ! . . . لماذا يا عزيزى ؟ لقد قلت لى ذلك ولكنى نسيته !

الرئيس : لأن هذه الفضائل الثلاث تصطحب العنصر الوحيد المشئوم حقاً على الإنسانية ، وهو الإصرار . ولم تكن السعادة قط نصيب المصرين على الحق . والأسرة السعيدة هى تسليم محدود بالواقع ، والعصر السعيد هو تسليم عام به .

الأجنبى : وهل رفعت أنت راية التسليم عند أول نزاع ؟

الرئيس : كلا مع الأسف ! فقد كان غيرى أسرع منى إلى رفعها ، ولذلك فما أنا إلا رئيس ثان للمحكمة . إن إليكترا تذهب كل ليلة إلى قبر أبيها . وحسبنا هذا .

البستانى : ما هو هدفها الذى تسعى إليه بإصرار ؟

الرئيس : إننى أعرفه ، لقد تبعتها وهى تسلك الطريق الذى سبق لى أن تبعت فيه بحكم مهنتى ذات ليلة بحذاء النهر مجرما يُعد أشر القتلة . تبعتها لكى أعرف خبر تلك التى تعد مثال

البراءة فى إغريقا ، فكان سيرى وراءها أشد فظاعة لدى من سيرى وراء المجرم . لقد تريثت هى أيضاً عند أعلام الطريق التى تريث هو عندها : عند شجرة ، وزاوية قنطرة ، وعلامة مسافة فمنحتها هذه الأعلام سريرتها كما هى لا فرق عندها بأن مر بها مثال الجرم أو مثال البراءة ، ولكن تبين أن الموجود هو رجل قاتل ، وهو الذى أضفى على الليل صفاءه واطمئنانه وتجرده عن الإبهام ، كان بمثابة النواة التى تنتزعها من الثمرة فلا تخشى أن تحطم أسنانك وأنت تأكل فطيرتها ، فى حين أن وجود إليكترا كان عكس ذلك ، كان يضفى الإبهام على النور والليل ويلقى سحابة من الشك على الكائنات حتى على القمر السافر . أنت رأيت الصياد يضع الطعم فى الماء ليعود إلى صيده فى غده . هذا كان حال إليكترا وهى تسير بحذاء هذا النهر الأسود . إنها تذهب كل مساء تدلى الطعم لتستخرج به ما من شأنه لولاها لهجر أرضاً تنعم بالسرور واليسر ، أى تستخرج الندم وحفائظ القلوب

وبقع دم قديمة ، ولطخ الصدأ ، وعظام جرائم القتل ، وقمامة الوشاية ، لن يمضى وقت طويل حتى يكون الطعم قد عمل عمله ، وتتجه إليه أسراب السمك وتتم حاجته ، وما على الصائد بعد ذلك إلا أن يمر .

الأجنبى : إنه لا بد أن يمر طال الأمر أو قصر .

الرئيس : هذا خطأ ! هذا خطأ ! .

أجات : [جد مشغولة بالشاب الأجنبى] هـــذا خطأ .

الرئيس : حتى هـــذه الصبية الغريرة ترى خطأ منطقك . إن ما نقترفه من خطايا وتقصير وجرائم تنطوى تحت طبقات ثلاث من ركام تهيله علينا كل يوم — كما تهيله على الحقيقة ذاتها . — يد النسيان والموت وعدالة البشر فتغيبه وتخمد ضراوته . . . باللفظاعة من جريرة أن ينصب فرد نفسه ليضطلع وحده برد المظالم إذ يصبح البلد كله مسرحاً تجول فيه الأشباح ، ويهب القتلى يفركون عيونهم ولا صفح فيه عن ألوان الضعف والحنث بالأيمان ، ويكون من الشر المرتقب بين لحظة وأخرى نشور الضحية وبروز طالب

الثأر . إنه حين لا ينعم الجناة — رغم سقوط جرمهم بمضى المدة ، طبقاً للقانون — بنوم غير مفزع كنوم الأبرياء ، يصبح المجتمع يتهدده الخطر . وأنا حين أرى إليكترا أشعر بالخطايا التى ارتكبتها فى المهد تتقلب فى ضميرى من جديد .

أجات : وأنا أشعر بخطاياى المستقبلة . إننى لن أقترف منها شيئاً أبداً يا عزيزى ، وأنت تعرف ذلك جيداً ، وعلى الأخص ذلك الزنى كما تصر على تسميته . . . ولكن تلك الخطايا تعذبنى بالفعل .

البستانى : إنى أكاد أكون على رأى إليكتر ، فأنا لا أحب الأشرار كثيراً وأحب الحقيقة .

الرئيس : وهل تعرف حقيقة أسرتنا حتى تطالب بسفورها فى وضح النهار ؟ حقاً إنها أسرة هادئة تحظى بالاحترام ، ونجمها فى صعود ؛ وأنت لا تنكر علىّ إقدامى على القول بأنك أشد أفرادها هواناً ، ولكن صفات هذه الأسرة هى مجرد طلاء ، وأنا أعلم بالتجربة أن الارتكاز عليه أشد حمقاً من السير على الثلج . فإذا أصبحت إليكترا قريبتنا

بزواجك منها . فأنا أضمن لك أنه لن تنقضى عشرة أيام ليس غير حتى ينكشف القناع عن أن عمتنا العجوز — مثلا — سبق لها وهى ما تزال فتاة أن خنقت طفلا لها حديث الولادة ويكون بعد ذلك من الميسور حمل هذا النبأ إلى زوجها ، ولتهدئة سورة غضبه العنيف ، يجابه بكل ما اقترفه جده من اعتداء على الأعراض . ها هى ذى أجات العزيزة — مع أنها هى المرح ذاته — لم تعد تذوق النوم . إنك أنت الوحيد الذى لا ترى حيلة إيجيست ، إنه يريد أن يخلع على أسرة نيوكاتوكليس كل سمعة سيئة يمكن أن تلحق ذات يوم أسرة أتريه .

الأجنبى : ماذا تخشى أسرة أتريه ؟

الرئيس : لا شىء ، لا شىء فيما أعرف ، ولكنها ككل أسرة سعيدة ، وككل زوجين ذوى سلطان ، وككل فرد لديه ما يريد ، يجب أن تخشى أشد أعداء الدنيا إرهاباً ، والذى لن يترك منها شيئاً ، والذى سينهشها إلى

العظم ، وهو حليف إليكترا ؟ أى العدالة المطلقة .

البستانى : إليكترا تعبد حديقتى ، وإذا ما ثارت أعصابها قليلا فإنها ستجد فى زهورى بلسما لها .

أجات : ولكنها هى ليست بلسما للزهور .

الرئيس : يقينا ستعرف أخيراً زهورك . وستراها لم تعد رموزاً محبوبة وتخلق عالماً لها من الخداع والعقوق . إن إليكترا فى الحديقة هى العدالة والذاكرة بين الزهور ، هى الكراهية .

البستانى : إليكترا تقية ، وكل الموتى فى جانبها .

الرئيس : الموتى ! آه إنى أسمع هؤلاء الموتى ، يوم يعلن إليهم وصول إليكترا . إننى أرى القتلى وقد أوشكوا أن يمتزجوا بالقتلة وأشباح المسروقين والمخدوعين مختلطة فى هدوء بأشباح اللصوص ، والأسر المتخاصمة قد انتشرت وتبادلت إفراغ أحقادها . أراهم جميعاً يهيجون ويقولون فيما بينهم : آه يا إلهى ها هى ذى إليكترا كم كنا هادئين !

أجات : ها هى ذى إليكترا !

البستانى : كلا لم تأت بعد . ولكن هذا هو إيجيست ، فدعنا أيها الأجنبى لأن إيجيست لا يحب كثيراً وجوه الرجال الذين لا يعرفهم .

الرئيس : وأنت أيضاً يا أجات ، اخرجى فهو لا يكره وجوه النساء اللواتى يعرفهن .

أجات : [وقد راقها وجه الأجنبى الجميل كثيراً] — هل أستطيع أن أدلك على الطريق أيها الأجنبى الجميل ؟

[يدخل إيجيست بينما كان الخدم يثبتون عرشه ويضعون مقعداً منخفضاً إلى جانب أحد الأعمدة] .

المشهـــــد الثالث

ايجيست ، الرئيس ، البستانى ، خدم ، السائل

إيجيست : لم هذا المقعد؟ لأى غرض جيء بهذا المقعد ؟

أحد الخدم : هو للسائل يا مولاى .

إيجيست : لأى سائل ؟

أحد الخدم : للإله إذا كنت تفضل ذلك ، لهذا السائل الذى يذرع المدينة منذ بضعة أيام . إنه مثل كامل للسائل ، لم نر سائلا مثله من قبل . لذلك راجت شائعة مؤداها أنه لا بد أن يكون إلهاً ، وكل الأبواب أصبحت أمامه

مفتحة يدخلها كما يشاء وهو فى هذه اللحظة يطوف حول القصر .

إيچيست : هل هو يحوّل الحبوب ذهباً فى المنازل ؟ هل هو يغوى الخادمات ؟

الخـــدم : إنه لا يلحق المنازل بدخوله إياها أقل ضرر .

إيچيست : يا له من إله غريب . . . أو لا يعرف الكهنة بعد ما إذا كان صعلوكاً أو « جوبيتير » ؟

الخـــدم : الكهنة يطلبون ألا يوجه إليهم هذا السؤال .

إيچيست : هل نترك المقعد يا أصدقائى ؟

الرئيس : مهما يكن من شىء ، فإنى أظن أن احترام سائل أسلم عاقبة من إهانة إله .

إيچيست : دع المقعد ، ولكن إذا أتى السائل فأخبرنا إذ أننا فى حاجة إلى أن يظل مجلسنا برهة وقفا على بنى الإنسان ، وحذار من إزعاجه فقد يكون مندوب الآلهة لحفل زواج إليكترا ، هذا الزواج الذى يعتبره رئيس محكمتنا وصمة لأسرته تتوافد إليه الآلهة تدعو نفسها بنفسها .

الرئيس : مولاى . . . .

إيچيست : لا تحتج فقد سمعت كل شىء إذ أن جدران

هذا القصر تعكس الأصوات بجلاء يثير الدهشة والإعجاب ، ولعل المهندس الذى بناه قد أراد أن يتسمع مداولات أعضاء المجلس وهم يقررون مقدار أجره وحصته فملأ القصر بمخابىء رنانة .

الرئيس : مولاى . . .

إيچيست : اسكت . إنى أعرف كل ما ستقوله باسم أسرتك ذات الشهامة والشرف ، وباسم قريبتك الفاضلة التى قتلت طفلها ، واسم عمك المحترم .... الهاتك للأعراض ، وباسم ابن أخيك المؤدب المفترى .

الرئيس : مولاى . . .

إيچيست : إن الضابط الذى تحول إليه ريشة قبعة الملك فى المعركة ليجنب ضربات الأعداء يتقبلها بحماس أكثر منك . . . ولكنك تضيع وقتك سدى ، فالبستانى سيتزوج إليكترا . . .

الخادم : ها هو ذا السائل يا مولاى .

إيچيست : إحجزه لحظة وقدم إليه شرابا ، فبالنبيذ يتحقق هدفان حين يقدم إلى الآلهة وإلى السائل .

الخادم : سواء أكان إلها أم سائلا فهو ثمل فعلا .

إيجيست : إذا كان الأمر كذلك فليدخل ، إنه لن يفهمنا ، إنه يدخل فى عين الوقت الذى جاء فيه ذكر الآلهة ، وقد يكون من الغرابة أن يجرى هذا الحديث عن الآلهة أمامه . إن رأيك فى إليكترا أيها الرئيس هو رأى على جانب كبير من الصواب ، ولكنه رأى خاص بك وبطبقتك البورجوازية ، . . وبصفتى وصيا على العرش تقبل منى أن أرفع قدرك من صاحب رأى خاص إلى صاحب مبدأ عام . . . أتؤمن بالآلهة أيها الرئيس ؟

[وفى هذه الأثناء يدخل السائل يقتاده الخادم ، وبينما هو يقوم بتحية مصطنعة ، يستقر شيئاً فشيئاً على المقعد ويبدو ساهيا إبان القسم الأول من المشهد ناظراً إلى ماحوله] .

الرئيس : وأنت نفسك يا مولاى ؟

إيجيست : أيها الرئيس العزيز طالما ساءلت نفسى عما إذا كنت أومن بالآلهة . ساءلت نفسى عن ذلك لأن هذا السؤال هو حقا المشكلة الوحيدة التى ينبغى لرجل الدولة أن يجد لها حلاً بينه وبين ضميره . إننى أومن بالآلهة أو بمعنى أصح : أعتقد أننى أومن

بالآلهة ، ولكنى لا أومن بهم بوصف أنهم آلهة ترصد ومراقبة ، بل على أنهم آلهة خالية البال لايتناهب تفكيرها هذا التآلف الذى لا ينقطع بين مجالات الزمان ومجالات المكان ، وهذا الصدام الذى لا ينفك بين قوى الجذب والفراغ أتمثّلهم فى نفسى لا فى صورة من هو فى شغل مستمر بما أبدعتـــه الأرض من عفن دائم التحول وهذا العفن ما هو إلا البشر ، بل أتمثلهم فى صورة من يبلغ من السكينة والحلول فى الكون كله ما يحقق له كمال البهاء ، ومن كان كامل البهاء فلا واعى له . إن الآلهة تجردت من الوعى ، وهى على قمة سلم المخلوقات كلها كما تجردت الذرة من الوعى وهى فى أسفل هذا السلم . والفرق الوحيد أن مرتبة التجرد من الوعى عند الآلهة هى وميض خاطف يحيط بكل شىء ينبعث من ألف سطح كحجارة الماس ، لا سمع لها ولا بصر ، وكل عملها أن تعكس الأنوار والإيماءات دون أن تفهمها .

السـائل : [وقد اطمأن فى مقعده بحسب أنه ينبغى له أن

يصفق لهذا الكلام] يا لها من فصاحة ! لله درك !

إيجيست : من المسلم به أن حياة الأفراد تخضع فجأة لتصاريف طارئة علمها تحمل جـــدواها وشمولها ، على الظن بأن من ورائها اهتماماً .. أو حكماً عادلاً لقوًى تسمو على البشر ، والذى يضفى على هذه القوى صفة المشيئة الإلهية والسمو على البشر ، هو أن عملها صائب فى عمومه لا فى أجزائه ، كوباء الطاعون يتفشى حقاً فى مدينة تتردى فى الإثم بكفرها أو بحماقتها ، ولكنه يحصد أيضاً مدينة مجاورة موسومة بالصلاح والتقوى ، والحرب يندلع أوارها حين ينحدر شعب إلى الانحطاط والفساد ، ولكن الحرب تلتهم آخر عادل وآخر شجاع ، وتتجنب أكثر الناس جُبْناً ، وكذلك لا عبرة بنوع الإثم ولا بمكان وقوعه ، فإن عقابه يحل ببلد بعينه أو بأسرة بعينهـــا سواء أكانت آثمة أم بريئة ، إنى أعرف أمًّا لها سبعة أولاد كان من عادتها فى تأديبهم أن تخص دائماً واحداً منهم بالضرب على عجيزته لا تحيد عنه إلى غيره ، فهذه أم إلهية ، وهذا يطابق اعتقادنا فى الآلهة بأنهم ملاكمون

عمى لا يقلقهم أن تقع ضرباتهم دائماً على الوجه ذاته تارة ، أو على العجيزة ذاتها تارة أخرى ، بل إننى أتخيل دهشة هؤلاء الآلهة إذا أفاقوا فجأة من غيبوبة ما نحمرهم من بهاء حين يتبينون أن ضرباتهم أقل ضلالة مما يحسبون ، وإذا كانت المرأة التى تصرعها الرياح الهوج بصدمة من النافذة ، هى زوج رجل عادل أم زوج رجل حانث فى أيمانه ، وإذا كانت الأرزاء تلاحق دائماً ركب الحجيج لا جموع العصابات ، فإن الإنسانية بصفة عامة هى التى تدفع الثمن . أقول بصفة عامة . . فإننا نرى أحياناً الغربان والأوعال تموت بأوبئة متفشية لا تعليل لها ، وقد يكون ذلك لأن الضربة التى كانت مصوّبة إلى البشر قد طاشت فابتعدت كثيراً إلى أعلى فأصابت الغربان أو إلى أدنى فأصابت الأوعال . . . ومهما يكن من الأمر ، فمما لا ريب فيه أن القاعدة الأولى لكل رئيس دولة هى أن يسهر فى ضراوة على ألا يزعج الآلهة فى سباتهم ، وأن ترد أضرارها إلى حدود فعل النائم

سواء أكان نومه غطيطاً أم زئيراً .

السائل : لله درك ! هذا واضح جداً ، وقد فهمت تماماً .

إيچيست : إنني لمغتبط بذلك .

السائل : تلك هي الحقيقة بعينها ، وسأضرب لك عليها مثلا : في بعض الفصول يعثر السائرون في الطرقات في كل مائة خطوة على قنفذ ميت ، فالقنافذ — ذكورها وإناثها — تجتاز الطرق ليلا . . بالعشرات ، فتداس وتسحق لا سيما في ليالي الأسواق . سنقول إن هذه حماقة منها ، لأن الذكر كان يستطيع أن يجد الأنثى ، وتستطيع الأنثى أن تجد الذكر في جانب واحد من الطريق . هذا شأنهم لا يحيدون عنه ، فلقاء الحب عند القنافذ لا يتم إلا باجتياز الطريق . ماذا أريد أن أقول ؟ لقد فقدت سلسلة أفكاري . استمر أنت فبقية القصة ستعود إليّ . . .

إيچيست : في الواقع ماذا يريد أن يقول ؟

الرئيس : فلو تحدثنا عن إليكترا الآن يا مولاي .

إيچيست : ولكن عمن تعتقد أننا نتحدث ؟ أعن فتاتنا الصغيرة الفاتنة أجات ؟ نحن لا نتحدث

إلا عن إليكترا أيها الرئيس ، وعن موقف أجد نفسي فيه مضطراً من أجل سعادتكم جميعاً إلى أن أشغل إليكترا عن الاهتمام بالأسرة المالكة . لماذا منذ أن صرت وصياً على العرش نصبح فيه وحدنا في رضا عن الغير وعن أنفسنا ، على حين أن بقية المدن الأخرى يستهلكون أنفسهم في الشقاق ، وبقية المواطنين يعانون أزمات معنوية . لماذا كانت عندنا هذه الدرجة من الثراء ؟ ولماذا نشاهد في أرجوس فقط أن ثمن المواد الأولية قد بلغ الذروة ؟ وثمن البضائع بالتجزئة قد هبط إلى الحد الأدنى ؟ ... ولماذا نصدر من البقر أكثر من ذي قبل ؟ ومع ذلك ينخفض ثمن الزبد ؟ ولماذا تنعقد الأعاصير فوق كرومنا والزندقة فوق معابدنا والوباء فوق حظائرنا ذلك لأني أشعلت في المدينة حرباً بلا إشفاق على الذين يومئون إلى الآلهة ...

الرئيس : ما الذي تدعوه بالإيماء إلى الآلهة يا إيجيست ؟

السائل : ها هي ذي ، لقد وجدتها .

إيجيست : ماذا وجدت ؟

السائل : وجدت قصتى . . . بقية قصتى . . . كنت أتحدث عن موت القنافذ .

إيچيست : دقيقة من فضلك. نحن نتحدث عن الآلهة .

السائل : هذا طبيعى . . . فتلك مسألة أولوية فى المراسم ، أى الآلهة أولا ، والقنافذ بعد ذلك ... غاية ما فى الأمر أنى أسائل نفسى عما إذا كنت سأتذكر .

إيچيست : لا توجد طريقتان للإيماء أيها الرئيس ، وإنما هو أن ينفصل المومئ من الجماعة فيصعد إلى موضع مرتفع ويحرك مصباحه أو رايته . وبهذه الإشارات يخون المشيرون الأرض كما يحدث فى المدن المحاصرة فيختارها الفليسوف سطح منزله ، والشاعر شرفته ، واليائس الموضع الذى يلقى بنفسه منه إلى الموت . فإذا كانت الآلهة لم توفق منذ عشرة أعوام إلى التدخل فى حياتنا ، فذلك لأنى سهرت على أن تكون القمم المنكشفة خالية ، وأن يكون ميدان السوق عامراً ، ولأنى أمرت بزواج الحالمين والرسامين والكيميائيين . ولكى أتجنب أن أفرق المواطنين أجناساً من حيث الحظوظ والجزاء تفرقة لا تلبث أن تجعل الناس يبدون لأعين الآلهة فى ألوان متباينة ،

فإنى قد تظاهرت دائماً بأن أضفى أهمية ضخمة على الذنوب الهينة ، واستهانة بالغة على الجرائم ، فلا شيء يحفظ على الآلهة جمودهم خير من وجود ممثل تزول فيه الفروق المميزة بين جرائم القتل وسرقة الخبز ، وينبغى أن أعترف بأن عدالة المحاكم قد أعانتنى فى هذا الصدد كثيراً ، وفى كل مرة اضطررت فيها إلى إنزال عقاب فعلته بصورة لا تستلفت نظر الآلهة ، فما جعلت جزاء لى مفضوحاً حتى لا يستدرج الآلهة إلى إقامة التوازن بانتقامهم ، فلا أحكم بالنفى ، بل بالقتل ، فإن المحكوم عليه بالنفى لا يلبث أن تتملكه غريزة التسلق فيصعد إلى القمة الوعرة وينكشف . وأنا إذا قضيت بعذاب ، لا أبرزه للعيان ، على حين أن جاراتنا من المدن مسكينة ، لأنها تفضح نفسها بإقامة مشانقها فوق قمم التلول. أما أنا فأصلب فى أعماق الأودية . والآن قد قلت كل شيء عن إليكترا .

البستانى : ماذا قلت ؟

إيجيست : إنه لا يوجد فى الحالة الراهنة فى أرجوس

إلا مخلوق واحد يستطيع أن يشير إلى الآلهة ، وهو إليكترا ... [ويتجه إلى السائل المهتاج قائلا] ماذا يحدث ؟

السائل : إنه لا يحدث شيء ، ولكن يحسن أن أقول لك قصتى الآن ، فإنها ستفقد كل مغزاها بعد قليل ، ولو مضيت فى الحديث ، لأيّد كلامى الآن قولك سأعود إلى القنافذ ، ستجد من بينها عشرات ماتت ميتة القنفذ أى سحق جسمها حافر جواد أو بقرت بطنها عجلة ؛ وما هى إلا جثث قنافذ لا أكثر ولا أقل . إنما الذى أهلكها هو الخلل الكائن فى طبعها . فى اجتيازها الطريق بدعوى أن بيض الطيور فى الجانب الآخر أشهى طعماً . . وإنما هى تجتاز الطريق لتلتقى بالحب كما تألفه . هذا شأنها لا دخل لنا فيه ، ولكن ستجد من بينها واحداً صغير السن لا يزال ممدداً لم يشوهه الموت ببشاعته كباقى زمرته ، فهو لا يزال يمد ساقاً سليمة ، ويطبق كما فى الحياة شفتيه ، ويشعر المرء أنه لم يسلم الروح عقاباً على خلل طبعه ، بل فدية لمخلوق

آخر قد يكون هو أنت ، وعينه الصغيرة الشاخصة هى عيناك ، وشوكه المنبد هو شعر لحيتك ، ودمه المراق هو دمك . إنى ألتقط دائماً مثل هذا القنفذ ، لأنه أعجز زمرته حيلة ، ولأن لحمه يطيب لآكله ، ولو كان عمره يزيد عن سنة لما هلك فدية لإنسان . أنت ترى أنى فهمت تمام الفهم . هذا خطأ الآلهة ، أرادوا أن يصيبوا حانثاً أو لصاً فقتلوا قنفذاً صغيراً .

إيچيست : لقد فهمت فهماً تاماً .

السائل : وما هو حق بالنسبة إلى القنافذ ، هو حق بالنسبة إلى الأنواع الأخرى .

الرئيس : يقيناً يقيناً .

السائل : كيف يكون ذلك يقيناً ؟ إنه زائف تماماً ، خذ ابن عرس مثلا فمهما تكن رئيس محكمة ، فإنك لن تدعى أنك رأيت أبناء عرس ماتت من أجلك .

إيچيست : هل تسمح أن تستمر فى الحديث عن إليكترا ؟

السائل : تحدث ، تحدث ، على أنه ينبغى لى أن أضيف أن الفدية التى ذكرتها من قبل متبادلة ، فيخيل

إليك أن كثيراً من الموتى بين الرجال قد ماتوا فدية من أجل ثيران أو خنازير أو سلاحف . وقليل منهم من يموت فدية لبنى جنسه ، بل أستطيع أن أقول إن هذا نادر شأن الذى يموت فداء لنفسه وحدها ... هل سنراها ؟ .

إيچيست : نرى من ؟

السائل : إليكترا ... أريد أن أراها قبل أن تقتل .

إيچيست : أتقتل إليكترا ؟ من يتحدث عن قتل إليكترا؟

السائل : أنت .

الرئيس : لم يتعلق الأمر قط بقتل إليكترا .

السائل : إن ميزتى أننى لا أفهم كلام الناس ، فلست متعلما ، ولكننى أفهم الناس ... أنت تريد أن تقتل إليكترا .

الرئيس : إنك لا تفهم إطلاقاً أيها المجهول ، إذ أن هذا الرجل هو إيچيست ابن عم أجاميمنون وإليكترا هى ابنة أخيه العزيزة .

السائل : هل توجد من إليكترا اثنتان ، إليكترا التى تحدث عنها ، وهى التى ستفسد كل شئ وأخرى هى ابنة أخيه العزيزة ؟

الرئيس : كلا لا توجد إلا واحدة .

السائل : إذا كان الأمر كذلك ، فإنه يريد أن يقتلها بلا أى ريب . إنه يريد أن يقتل ابنة أخيه العزيزة .

الرئيس : إنى أؤكد لك أنك لا تفهم .

السائل : إنى أطوف كثيراً ، وأعرف أسرة تدعى «نارسيس» ، والزوجة فيها أفضل من زوجها وكانت مريضة ولكنها كانت أفضل منه كثيراً ...

البستانى : لقد ثمل ، إنه سائل .

الرئيس : هو يثرثر عبثا ، إنه إله .

السائل : كلا ، إنى أريد أن أقول لكم ، قد أهديت إليها ذئبةً صغيرة ، فكانت هى ذئبتها الصغيرة العزيزة المدلّلة ، غير أن الذئبات الصغيرات تصبح فى لحظة مفاجئة فى يوم من الأيام ذئبات كبيرات ، ولم يحسن الرجل وزوجه التنبؤ بهذه اللحظة الفاصلة المرتقبة فأخذت الذئبة ذات يوم تداعبهما . وبعد دقيقة واحدة مالت عليهما وخنقتهما . فأما الرجل فأنا لا أعبأ به .

إيچيست : وحينئذ ؟

السائل : حينئذ مررت فقتلت الذئبة وكانت قد بدأت

تأكل خد الرجل بشهية . وأما زوجته فقد نجت ، وهى بخير لحسن الحظ ، إنك سترها لأنها ستأتى لتبحث عنى بعد قليل .

إيچيست : أين العلاقة ؟

السائل : أوه ! لا تتوقعوا أن تروها تمتطى صهوة جواد فقد أشاخها المرض .

الرئيس : هو يسألك أين العلاقة ؟

السائل : العلاقة ؟ إننى أتخيل أن هذا الرجل — من حيث إنه رئيس الدولة — هو مع ذلك أذكى من نارسيس ... إن غباوة نارسيس لا يستطيع أحد أن يتخيلها . نارسيس هذا لم أستطع أن أعلمه كيف يدخن لفافة من غير الطرف المشتعل .. والعقد؟ إن معرفة عقد العقد هى أهم شىء فى الحياة . فلو صنعت بدل العقدة ، أنشوطة سهلة الحل أو العكس ، لهلكت ، وفقدت نقودك وهاجمك البرد وخنقت نفسك ، ولما استطعت أن تخلع حذاءك . أقول هذا لمن يخلعون أحذيتهم .. والأربطة؟ تصوّر أن نارسيس كان قناصاً...

الرئيس — : نحن نسألك أين العلاقة ؟

السائل : هذه هى العلاقة ، وإذا كان صاحبنا يوجس شراً من ابنة أخيه ويدرك أنها

— كما يقول — ستشير إلى الآلهة فى يوم قريب ، أى ستكشف عن أنيابها وتقلب المدينة رأساً على عقب ، وترفع ثمن الزبد ، وتشعل الحرب فى إغريقا وما إلى ذلك من الكوارث لما تردد فى قتلها قبل أن تتحول طبيعتها ... وتتكشف ... ومتى تتكشف ؟

الرئيس : كيف ؟

السائل : فى أى يوم ، وفى أية ساعة تتكشف ؟ فى أى يوم تصير ذئبة ؟ فى أى يوم تصير إليكترا؟

الرئيس : لكن لا شىء يدل على أنها ستصير ذئبة .

السائل : [مشيراً إلى إيجيست] — بلى هو يعتقد ذلك ، هو يقوله .

البستانى : إليكترا هى أودع امرأة .

السائل : إن ذئبة نارسيس كانت أودع الذئبات .

الرئيس : ليس لها معنًى ، كلمتك « تتكشف »

السائل : ألا تدل على شىء كلمتى « تتكشف ؟ » فماذا تفهم إذن فى الحياة ؟ ففى ٢٩ مايو ، عندما ترى بغتة فى الغابات آلافاً من كرات الطيور الصغيرة : الصفر والحمر والخضر التى تطير وتصيح وتنازع كل زهرة من زهور نبات العَقُول ؟ والتى لا تتعقب نباتات أخرى ، أفلا تتكشف

حينـــذاك طيور العقُول ؟ وفى ١٤ يونيو عندما ترى فى منحنى النهر بلا ريح ولا تيار ، قصبتين من الغاب تتحركان وحدهما بلا انقطاع إلى ١٥ يونيو ، أفلا تتكشف أسماك البروشيه ، تلك الأسماك التى تحركهما ؟ أولا يتكشف القضاة أمثالك يوم حكمهم الأول بالإعدام فى اللحظة التى يخرج فيها المقضى عليه فاقد العقل ، عندما يشعرون بطعم الدم على شفاههم ؟ كل شىء يتكشف فى الطبيعة حتى الملوك ، بل إن المسألة اليوم ، هى معرفة ما إذا كان الملك سيتكشف فى «إيچيست» قبل أن تتكشف إليكترا فى إليكترا . وإذن فينبغى أن يعرف اليوم الذى سيحدث فيه هذا للفتاة لكى يستطيع أن يقتلها فى عشيته فى قاع واد كما يقول ، أو فى قاع أصغر الأودية فى حوض حمامها ، وذلك أيسر الوسائل وأقلها تعرضا للرؤية ...

الرئيـــس : إنه لمزعج .

إيچيست : إنك تنسى الزواج أيها السائل .

السائـــل : هذا حق ، لقد نسيت الزواج ، ولكن محو أحد الأشخاص بتزويجه غير مؤكد

مثل محوه بالقتل . على أن الفتاة رقيقة مثلها وبخاصة إذا طال كبت عواطفها ستتكشف يقينا فى الدقيقة التى يأخذها فيها رجل للمرة الأولى بين ذراعيه . . . أفتزوجها ؟

إيچيست : فى هذه اللحظة وفى هذا المكان نفسه .

السائل : ليس لملك مدينة أخرى فيما آمل ؟

إيچيست : إنى أعيذ نفسى من هذا ، وإنما للبستانى

الرئيس : لهذا البستانى !

السائل : أهى راضية به ؟ لو كنت مكانها ، لما تكشفت بين ذراعى بستانى ، ولكن لكل ذوقه أما أنا فقد تكشفت فى كرفو فى ميدان الفسقية فى مخبز تحت شجر الساج ، وكان ينبغى أن يرانى الناس فى هذا اليوم ! كنت أزن فى كل من كفتى الميزان إحدى يدى الخبازة ولم يكن لهما قطّ نفس الثقل ، فكنت أكمل اليمنى بالدقيق واليسرى بالجريش . . . أين يسكن البستانى ؟

البستانى : خارج الأسوار .

السائل : أفى قرية ؟

البستانى : لا إن منزلى منفرد .

السائل : [لإيچيست] — لله درك ! إنى أتبين فكرتك

وهى ليست رديئة ، فمن الميسور قتل زوجة بستانى ! بل هو أيسر كثيرا من قتل أميرة فى قصرها .

البستانى : أرجوك أيا كنت . . .

السائل : لن تقول لى إن الدفن فى الأرض ليس أسرع بكثير من الدفن فى الرخام !

البستانى : ماذا تتخيل ؟ على أنها لن تكون بعيدة عن نظرى دقيقة واحدة .

الرئيس : أيها المجهول ، إننى لا أدرى ما إذا كنت تدرك البيئة التى أنت فيها الآن . إنك فى قصر أجاميمنون فى أسرة أجاميمنون .

السائل : إنى أرى ما أرى . أرى أن هذا الرجل خائف وأنه يحيا مع الخوف من إليكترا .

إيچيست : عزيزى الضيف ، ينبغى ألا تضل ، أنا لا أخفى أن إليكترا تقلقنى . وأحس أن المتاعب والأرزاء يوم تتكشف إليكترا ستهبط على أسرة أتريه . بل على كل الناس ، لأن الذى يصيب الأسرة المالكة يصيب كل فرد من رعاياها . ولذلك فإنى أنقلها إلى أسرة خاملة لا يقع عليها نظر الآلهة ، ولن يكون فى عينيها ولا فى إشارتها وميض

وسيبقى الضرر محصورا فى أسرة من الطبقة المتوسطة ، أى فى أسرة تيوكاتو كليس .

السائل : فكرة طيبة، فكرة طيبة . ولكن ينبغى أن تكون أسرة خاملة جداً .

إيچيست : إنها كذلك ، وسأحرص على أن تبقى هكذا ، سأحرص على ألا يمتاز أحد من أسرة تيوكاتو كليس بالشجاعة ، أما عدم امتيازهم بالذكاء فإنى مطمئن عليه ، فهم به كفيلون .

السائل : كن حذراً ، فإن أجات الصغيرة تلفت النظر ، وإن الجمال أيضاً يومئ إلى الآلهة .

الرئيس : أرجوك أن تترك أجات بعيدة عن المناقشة

السائل : حقاً إنه يمكن أن يدعك وجهها بماء النار

الرئيس : مولاى ...

إيچيست : انتهت المرافعة فى هذه القضية .

الرئيس : سأجعل منطقى هو منطق القدر ذاته يا إيچيست فإن القدر ليس كالمرض ينتقل من شخص إلى شخص ، أفتظن إذن أن هذا ممكن الانتقال ؟

السائل : نعم ، كما أن الجوع ممكن الانتقال عند الفقراء .

الرئيس : إنى أجد مشقة فى أن أصدق أن القدر يقنع بفرعنا الصغير المطمور بدلا من أسرة مالكة ، أو أن يقبـــل قدر أسرة أتريه أن يصبح قدر أسرة تيوكاتوكليس .

السائل : اطمـــــئن — فسرطان الملوك يرضى بالبورجوازيين .

إيچيست : أيها الرئيس ، إذا كنت لا تريد أن يؤدى دخول إليكترا فى أسرتك إلى أن يحل بأعضائها القضاة سخط الملك فلا تضف إلى ما تقدم كلمة واحدة ، واعلم أن أشد الأقدار عتادا لن تحدث فى أسرة هينة الشأن إلا أضرارا هينة الشأن وآن هذا الأمر يؤسفنى كثيراً لما أكنه من تقدير لأسرة تيوكاتوكليس ، ولكن الأسرة المالكة لن تتعرض بعد ذلك لشئ ، لاهى ولا الحكومة ، ولا المدينة .

السائل : وقد يستطاع قتلها أيضاً إذا سنحت الفرصة

إيچيست : لقد قلت كل شئ ... تستطيع الذهاب لإحضار كليتيمنيستر ، وإليكترا ، إنهما تنتظران .

السائل : آن الأوان أن أقول — لا من قبيل اللوم —

إن الحديث لا يحلو إلا إذا اشتركت فيه النساء .

إيجيست : سيكون لديك اثنتان وهما ستتحدثان .

السائل : وستتشاجران قليلا فيما آمل .

إيجيست : أيحب أمثالك مناقشات النساء ؟

السائل : نحن نهيم بذلك . لقد أدخلني الناس بعد ظهر اليوم منزلا دار فيه نقاش أيضاً . حقاً إنه كان أقل رفعة ، بل إن الموازنة لاتنعقد ، فذلك النقاش لم يكن بين ملوك قتلة كما هو الحال هنا ، وإنما كان يدور حول ما إذا كان ينبغي في موائد الضيوف أن تقدم الطيور بأكبادها أو بغير أكبادها . وبرقابها أيضاً بطبيعة الحال ، واحتدت النسوة في النقاش إلى حد أنه كان ينبغي تفريقهن ، وإني إذ أتذكره أجده نقاشا عنيفاً هو أيضا ، فقد سال الدم .

المشهد الرابع

الأشخاص السابقون أنفسهم ، وكليتيمنيستر ، وإليكترا

الرئيس : ها هما تان كلتاهما قد حضرتا .

كليتيمنيستر : كلتاهما ، هذا قول فيه إسراف ، لأن

إليكترا لا تكون أشد غياباً إلا فى الموضع الذى توجد فيه .

إليكترا : لا ، فاليوم أنا موجودة

إيجيست : إذن لنستفد من ذلك . أتدرين لماذا أحضرتك أمك إلى هنا ؟

إليكترا : أظن أن هذا بدافع العادة ، فقد اقتادت من قبل ابنة إلى الموت[1]

كليتيمنيستر : هذه هى إليكترا فى عبارة وجيزة : ليس لديها كلمة واحدة لا تتضمن الغدر أو التلميح الخبيث .

إليكترا : عفواً يا أمى ، فالتلميح يعرض فى سهولة لأسرة أتريه .

السائل : ماذا تريد أن تقول ؟ أستتشاجر مع أمها ؟

البستانى : لو حدث ذلك لكانت المرة الأولى التى ترى فيها إليكترا غاضبة .

السائل : إن كان هذا أول غضب لها ، فمن المتعة أن نشهده

إيجيست : يا إليكترا إن أمك قد أنبأتك بتصميمنا .

---

(١) تشير إليكترا هنا إلى موت أختها ايفيجينى التى قدمت ضحية للآلهة أرتيميس فى مبدأ حرب طروادة والتى اقتادتها أمها إلى الموت وهى بهذه الذكرى تلمح إلى أن هذه الأم معتادة على قيادة بناتها إلى الهلكة (المترجم).

إنك تقلقيننا منذ وقت طويل، وأنا لا أدرى ما إذا كنت تدركين ذلك : إن من يراك فى وضح النهار ، يحسبك تسيرين وأنت نائمة . وفى القصر وفى المدينة لا ينطق أحد باسمك إلا خافت الصوت خشية إيقاظك على فزع وسقوطك على الأرض .

السائل : [صائحاً فى قوة] إليكترا.

إيجيست : ماذا حدث ؟

السائل : عفواً . هذه دعابة فاعذرنى . ولكنك أنت الذى خفت لا هى ، إنها ليست نائمة فى صورة المستيقظة .

إيجيست : أرجوك ...

السائل : على أية حالة قد أجريت التجربة ، فأنت الذى خفت . ماذا كان سيحدث لو أنى هتفت فجأة قائلا : يا إيجيست !

الرئيس : دع وصى عرشنا يتحدث .

السائل : سأهتف باسم إيجيست بعد قليل حين لا يتوقع ذلك أحد .

إيجيست : ينبغى أن تبرئى يا إليكترا أياً كان الدواء .

إليكترا : أمر شفائى بسيط ، إذ يكفى لذلك رد الحياة لميت .

إيجيست : لست أنت الوحيدة التى تبكين والدك ، ولكنه لا يطلب إليك أن يكون حدادك إهانة للأحياء ، إننا نضع الموتى فى وضع زائف حين نربطهم بحياتنا ، فذلك سلب لحريتهم بوصف أنهم موتى إن كان لهم حرية .

إليكترا : لديه حريته ، ولذلك هو آت .

إيجيست : أتحسبين حقاً أنه يغتبط بأن يراك تبكينه لا كابنة ، بل كزوجة .

إليكترا : إننى أيّم والدى لعدم وجود أيامى أخريات

كليتيمنيستر : يا إليكترا .

إيجيست : أيّم أو غير أيّم ، نحن نحتفل اليوم بعرسك.

إليكترا : نعم إنى أعرف مؤامرتكما .

كليتيمنيستر : أية مؤامرة ؟ أإرادة تزويج فتاة فى الحادية والعشرين مؤامرة ؟ إنى فى سنك ، كنت أحملكما كليكما فوق ذراعى أنت وأوريست .

إليكترا : كنت تسيئين حملنا ، فقد تركت أوريست يسقط على الرخام .

كليتيمنيستر : ماذا كنت أستطيع أن أعمل ؟ وأنت التى دفعته .

إليكترا : هذا كذب : فأنا لم أدفع أوريست .

كليتيمنيستر : وماذا تستطيعين أن تعرفى عن ذلك ، وقد

كانت سنك خمسة عشر شهراً !

إليكترا : لم أدفع أوريست ! وإن أنس فلن أنسى هذا يا أوريست : أينما تكن فاستمع إلىّ إنى لم أدفعك !

إيجيست : اهدئى يا إليكترا .

السائل : هذه المرة قد غضبتا ، سيكون من الشائق أن تتكشف الفتاة أمامنا .

إليكترا : إنها تكذب يا أوريست : إنها تكذب !

إيجيست : أرجوك يا إليكترا ...

كليتيمنيستر : إنها دفعته : إنها لم تكن تعرف ما تعمله يقيناً فى تلك السن ، ولكنها دفعته .

إليكترا : لقد حفظته بكل قواى متشبثة بقميصه الصغير الأزرق وبذارعه وبأطراف أنامله ، بل بظله . وكنت أجهش بالبكاء حين رأيته على الأرض ، وعلى جبهته علامة حمراء !

كليتيمنيستر : كنت تضحكين بملء شدقيك والقميص — فيما بيننا — كان بنفسيجياً .

إليكترا : كان أزرق . إنى أعرفه ، قميص أوريست حين كان ينشر ليجفف كان لا يميز من زرقة السماء .

إيجيست : هل سأستطيع أن أتكلم ؟ ألم يكن لديكما

من الوقت منذ عشرين سنة ما تنهيان فيه هذه المناقشة ؟

إليكترا : منذ عشرين سنة أنا أبحث عن الفرصة ، ولقد وجدتها .

كليتيمنيستر : كيف لا يتأتى لها أن تفهم أن حسن النية لا يمنعها من أن تكون مع ذلك مخطئة .

السائل : كل منهما حسنة النية .

الرئيس : أيتها الأسرة ، إننى أتوسل إليك ، ما فائدة الكلام الآن فى هذه المسألة ؟

كليتيمنيستر : ليست هناك أية فائدة ؟ أنا أوافق على ذلك .

إليكترا : أية فائدة ؟ إذا كنت أنا التى دفعت أوريست ، فإنى أفضل أن أموت ! أفضل أن أقتل نفسى ... ولا يكون لحياتى أى معنى ! ...

إيجيست : هل سينبغى إسكاتك بالقوة ! وهل أنت مجنونة مثلها أيتها الملكة ؟

كليتيمنيستر : استمعى ، لا ينبغى أن نتشاجر ها هوذا كيف حدث بالضبط ، إنه كان على ذراعى اليمنى .

إليكترا : كلا إنه كان على اليسرى .

إيجيست : كفى هذا الجدل ياكليتيمنيستر .

كليتيمنيستر : لن أجادل ولكن الذراع اليمنى هى اليمنى وليست اليسرى ، والقميص البنفسجى هو بنفسجى وليس أزرق .

إليكترا : إنه كان أزرق .. وأزرق بقدر ما كانت جبهة أوريست حمراء .

كليتيمنيستر : ذلك حق ، كانت حمراء جداً ، بل قد لمست الجرح بإصبعك وكنت ترقصين حول الجسم الصغير المتمدد ، وكنت تذوقين دمه ضاحكة .

إليكترا : أنا ! ؟ إنى كنت أريد أن أحطم رأسى بدرجات السلم التى جرحته ، وظلت أضطرب أسبوعاً كاملا . . .

إيجيست : اسكتى . .

إليكترا : إننى لا أزال أضطرب !

السائل : كانت زوجة نارسيس تسند ابنهـــا وهى تحمله برباط رخو غير محكم ، فكان ابنها يميل أحياناً ولكن لا يسقط .

إيجيست : حسبنا هذا وسنرى عما قريب كيف أن إليكترا ستحمل أطفالها لأنك موافقة أليس كذلك ؟ أتقبلين الزواج ؟

إليكترا : أقبله .

إيجيست : يجب أن أعترف لك بأن طلاب الزواج ليسوا كثيرين حولك .

السائل : يقال إن . . .

إيجيست : ماذا يقال ؟

السائل : يقال إنك هددت بالموت سراً كل الأمراء الذين يمكن لهم أن يتزوجوا بإليكترا ... يقال ذلك فى المدينة ...

إليكترا : هذا أوفق ، فلست أريد أى أمير .

كليتيمنيستر : أو ترضين بالبستانى زوجاً لك ؟

إليكترا : أنا أعرف أنكما دبرتما أمر زواجى من بستانى أبى فأنا أقبل .

كليتيمنيستر : لن تتزوجى بستانيا .

إيجيست : لقد اتفقنا على هذا أيتها الملكة ، والكلمة أعطيت .

كليتيمنيستر : إنى أستردها ، تلك كلمة جائرة . وإذا كانت إليكترا مريضة فسنعالجها . ولم أعد أريدُ بعد أن أعطى ابنتى لبستانى .

إليكترا : فات الوقت أيتها الأم فقد أعطيتنى إليه فعلا

كليتيمنيستر : أتجرؤ أن تزعم طلب يد إليكترا أيها البستانى .

البستانى : إننى غير جدير بها أيتها الملكة ، ولكن إيجيست يأمر بذلك .

إيجيست : إنى آمر به ، وها هما الخاتمان .. خذ زوجتك .

كليتيمنيستر : أنت تخاطر بحياتك أيها البستانى لو أصررت على هذا ! .

السائل : إذن لا تصر ، أنا أحب أن أرى موت الجنود لا موت البستانيين .

كليتيمنيستر : ماذا يقول هذا أيضاً ؟ أيها البستانى إذا تزوجت إليكترا فإنك ستموت .

السائل : ذلك شأنك ، ولكن هناك مجالا للحديث عن الحديقة ماذا يكون حالها بعد عام من وفاة البستانى ؟ إن حداد النبت على عائله إن غاب عنه سنة ، لا يشبه حداد أيامى الملوك .

كليتيمنيستر : هذه الحديقة بالذات لن تفقد شيئاً ، تعالى يا إليكترا .

البستانى : أيتها الملكة ، تستطيعين أن تأبى على إليكترا ، ولكن ليس حسناً أن يذم المرء حديقة لا يعرفها .

كليتيمنيستر : إنى أعرفها فهى أرض بائرة .

البستانى : أرض بائرة ، الحديقة التى هى أفضل حدائق أرجوس تعهداً .

الرئيس : إذا شرع يحدثنا عن حديقته ، فإننا لن نخرج من ذلك .

يچيست : أعفنا من الأوصاف .

آلبستانى : إن الملكة تتحداني ، فأنا أرد ، إذ أن حديقتى هى مهرى وشرفى .

إيچيست : هذا قليل الأهمية ، فكفى شجاراً .

البستانى : أرض بائرة ، إن حديقتى تشغل عشرة أربان[1] من الأكمة ، وستة فى الوادى . كلا .. كلا لن تستطيعوا أن تسكتونى ، ليس فيها شبر واحد قاحل ، أليس كذلك يا إليكترا ؟ فى الجوانب العليا ينمو الثوم والطماطم وفى المنحدرات الكرم والخوخ ، وفى الأمكنة المنبسطة الخضر وبعض الفواكه ، وفى المواضع المنخفضة تنضج أشجار التين فى حمى الجدران ثمارها .

إيچيست : هذا بديع ، دع تينك ينضج وخذ زوجتك .

كليتيمنيستر : كل شىء فيها جاف ، فقد رأيتها من

---

(١) الأربان هو مائة قصبة مصرية أى ١٢٦٠ متراً مربعاً تقريبا (المترجم)

الطريق ، إنها جمجمة صلعاء . إنك لن تفوز بإليكترا .

البستانى : كل شىء فيهـا جاف ، هناك نبع لا يجفه أشد أيام السنة قيظاً ، ومنه يسيل الجدول الذى يمد القناتين اللتين ترويان حديقتى ، أين تجدين جمجمة شبيهة بها ؟ فى مبدأ هذا الربيع لم يكن كل ما فيها إلا سوسنا ونرجسا . إنى لم أر قط إليكترا تبتسم ، ولكنى فى حديقتى عرفت على وجهها أكثر العلائم شبهاً بالابتسامة .

كليتيمنيستر : انظر ما إذا كانت تبتسم فى هذه اللحظة .

البستانى : أنا أطلق على هذا اسم ابتسام إليكترا .

كليتيمنيستر : ابتسام ليدك القذرة وأظافرك السود !

إليكترا : عزيزى البستانى ...

البستانى : أظافرى السود ؟ ها هى ذى أظافرى الآن سود . لا تصدقيها يا إليكترا ! إنك غير موفقة الآن أيتها الملكة ، لأنى طليت منزلى فى هذا الصباح بالجير على طريقة لا تدع فيه أى أثر للفيران أو للحشرات ، وبذلك لم تخرج أظافرى سـوداً كما تريدين أن تقولى ، ولكنها مغطاة بالبياض .

إيچيست : يكفى هذا أيها البستانى

البستانى : أنا أعرف . أنا أعرف أن هذا يكفى ، وهل يداى قذرتان ؟ انظروا إليهما ، يدان غسلتهما بعد أن قطفت نبات عش الغراب والبصل المعلق لكى لا يقلق شئ راحة إليكترا ليلا . . أما أنا فسأنام فى السقيفة يا إليكترا ، ومن هناك سأراقب كل ما يهدد نومك سواء أكان آتياً من تعيب البوم ، أم من خرير مياه الهويس المفتوح ، أم من الثعلب الذى يجتاز السياج حاملا دجاجة . والآن قلت كل شئ .

إليكترا : شكراً أيها البستانى .

كليتيمنيستر : أهكذا ستعيش إليكترا ابنة كليتيمنيستر وملك الملوك ناظرة إلى زوجهـــا يطوف مماشى الحديقة وبيديه « جردلان » .

إيچيست : وهى ستبكى فيها الموتى كما تشاء . فأعدا منذ الغد مشاتل « الخالدات » وهى زهور تلائمها .

البستانى : وستتجنب فيها القلق والهم ، وقد تتجنب الفاجعة ، إنى لا أكاد أعرف الكائنات أيتها الملكة ، ولكنى أعرف الفصول . نعم لقد آن الوقت

لأن نغير مكان التعاسة من مدينتنا ، ولكن ليست أسرتنا المسكينة هى التى ستتلقى بين أحضانها أسرة أتريه ، وإنمـا ستتلقاها الفصول والمروج والرياح ، ويخيل إلىّ أنها لن تبالى .

السائل : استسلمى للاقتناع أيتها الملكة ، أفلا ترين إذن أن لدى إيجيست نوعاً من المقت يدفعه إلى قتل إليكترا ، أى إلى إعطائها إلى الأرض ، ولكنه — من أثر التشابه فى الألفاظ — ينخدع فيعطيها للحديقة . إنها هى التى تريح من هذا ، تريح الحياة [وهنا وقف إيجيست] ماذا ؟ لقد أخطأتُ فى هذا القول ، أليس كذلك ؟

إيجيست : [إلى إليكترا والبستانى] اقتربا كلاكما !

كليتيمنيستر : يا إليكترا أرجوك !

إليكترا : إنما أنت التى أردت ذلك أيتها الأم .

كليتيمنيستر : لم أعد أريده ، أنت ترين جيداً أنى لم أعد أريده .

إليكترا : ولماذا لم تعودى تريدينه ؟ أأنت خائفة ؟ لقد فات الوقت .

كليتيمنيستر : ماذا ينبغى إذن أن أقول لك لأذكرك من أنا ، ومن أنت ؟

إليكترا : ينبغى أن تقولى إنى لم أدفع أوريست .

كليتيمنيستر : فتاة غبية !

إيجيست : هل ستستأنفان الشجار ؟

السائل : نعم .. نعم فلتستأنفا !

كليتيمنيستر : وظالمة ، وعنيدة ! أنا تركت أوريست يسقط ! إننى لا أكسر ألبتة شيئاً ! ولا أفلت ألبتة كوبة أو خاتما ... وإننى ساكنة إلى حد أن تقف الطيور على ذراعى ... فمنى يطير الشئ ولا يسقط وذلك بالضبط هو ما كنت أقوله حينما فقد أوريست توازنه فلماذا أراد الحظ السئ أن تكونى على مقربة منه ؟

إيجيست : إنهما مجنونتان !

إليكترا : وأنا كنت أقول لنفسى عندما رأيته يسقط إذا كانت هذه أمًّا بمعنى الكلمة فإنها على الأقل ستنحنى لتخفف السقطة ، أو ستنثنى أو ستتقوس لينزلق عليها فتتلقاه بفخذيها أو بركبتيها .

كليتيمنيستر : اسكتى

إليكترا : أو أنها ستنحني إلى الوراء ، بحيث تتيح لأوريست الصغير أن ينزلق كما ينزلق الصبي من شجرة تسلقها ، للبحث عن عش ، أو أنها ستسقط هي إلى الأرض لتمنعه هو من السقوط ، أو لكي يسقط فوقها . كان في قدرتها أن تلجأ إلى كل حيلة تتوسل بها أم لتتلقف ابنها عند سقوطه منها . كان في قدرة الأم أن تجعل من نفسها له وقاء ومهداً ، ولكنها بقيت منتصبة القامة ، وهوى أوريست كالحجر إلى الأرض من ذراعها .

إيجيست : لقد سمعت المرافعة في هـذه القضية ياكليتيمنيسترا ، هيا لننصرف .

كليتيمنيسترا : على ضوء دعواها أنها تتذكر على هذا النحو ما رأته في سن خمسة عشر شهراً ، أو بالحرى ما لم تره ، تستطيعون أن تحكموا على بقية كلامها .

إيجيست : ومن يصدقها ، ومن يستمع إليها إلا أنت؟

إليكترا : هناك وسائل كثيرة لمنع الابن من السقوط ، وإنني أرى منها ألف وسيلة أيضاً ، وهي لم تفعل شيئاً !

كليتيمنيستر : لو أنني قمت بأقل حركة لسقطت أنت .

إليكترا : هذا هو ما أقول ، إنك كنت تفكرين وتحسبين ، كنت مرضعة لا أما !

كليتيمنيستر : يا بنيتي إليكترا

إليكترا : لست بنيتك إليكترا وإنما بضمك طفليك إلى صدرك ، تتحرك أمومتك وتستيقظ ولكن بعد فوات الوقت .

كليتيمنيستر : أتوسل إليك !

إليكترا : هوذاك ! افتحي ذراعيك حتى النهاية ! هذا هو ما فعلته انظروا جميعاً ! ذلك هو عين ما فعلت .

كليتيمنيستر : لنرتحل يا إيجيست ...

[تخرج]

السائل : أظن أن الأم خائفة أيضاً .

إيجيست : [للسائل] ماذا تقول أنت ؟

السائل : أنا .. أنا لا أقول شيئاً ألبتة ... إني أتكلم حين لا أكون قد شربت شيئا ، وفي تلك الحالة لا يسمع الناس أحدا سواي ، ولكني اليوم شربت قليلا .

المشهد الخامس

إليكترا ، السائل ، البستانى ، الأجنبى ، أجات

أجـــات : هذه هى اللحظة الملائمة ... فلم يعد إيچيست ، موجوداً هنا . اختف أيها البستانى .

البستانى : ماذا تريدين أن تقولى ؟

أجـــات : اختف وبسرعة ، فهذا الرجل سيأخذ مكانك .

البستانى : مكانى بجانب إليكترا ؟

الأجنبى : نعم ، أنا الذى سأتزوجها .

إليكترا : دع يدى .

الأجنبى : لن أدعها أبدا فى حياتى !

أجـــات : على الأقل انظرى إليه يا إليكترا ، فالمرأة قبل أن تفر من بين ذراعى رجل ، تنظر على الأقل إلى صورته ، وإنى أؤكد لك أنك تربحين .

إليكترا : أيها البستانى أنقذنى !

الأجنبى : ليس علىّ حساب أؤديه إليك أيها البستانى . ولكن انظر إلىّ وجهاً لوجه . إنك خبير

بالأجناس والأنواع فانظر إلى نوعى فى عينى ، هكذا أنظر إليه بعينيك المسكينتين المنكسرتين نظرات الدهماء التى هى خليط من الوفاء والتضعضع والخوف ، بهذه الحدقة الباهتة القاحلة التى لم تعد تفرز دموعاً لوقع الشمس ولا لتأثير التعاسة . إفحص وانظر ما إذا كنت أستطيع أن أتمحى أمامك . . . هذا بديع ... ناولنى خاتمك ... شكراً .

إليكترا : يا أجات يا ابنة عمى ! ساعدينى ! أقسم لك لن أقول شيئاً عن وصالك للبستانى وهجرك إياه أقسم لك أنى لن أقول شيئاً .

أجـــات : [جاذبة البستانى] — تعال . . . إن أسرة تيوكاتوكليس قد نجت ، فلتدبر أسرة أتريه أمرها .

الســـائل : إنها تجرى . . . وهكذا الحشرة الصغيرة التى تخشى ضوء النهار تعود فتختبئ تحت حجرها ، حينما يهددها ذلك الضوء .

المشهد السادس

إليكترا ــ الأجنبي ــ السائل .

الأجنبي : أما أنت فلا تقاومي .

إليكترا : سأقاوم حتى الموت .

الأجنبي : هل تظنين ذلك ؟ عما قريب ستأخذينني أنت بين ذراعيك .

إليكترا : هذا كلام مهين لا أقبله .

الأجنبي : بعد دقيقة ستعانقينني .

إليكترا : عار عليك أن تستفيد من تينك الوضاعتين

الأجنبي : انظري مع ذلك كم أنا واثق أنني أطلق سراحك .

إليكترا : وداعا إلى الأبـــد .

الأجنبي : كلا ! إني سأقول لك كلمة واحدة ستعودين بعدها إليّ وديعة جدا .

إليكترا : ماهي هذه الكلمة الكاذبة .

الأجنبي : كلمة واحدة وستنتحبين بعدها بين ذراعي ، كلمة واحدة هي اسمي . . .

إليكترا : لا يوجد في العالم إلا اسم واحد هو الذي يستطيع أن يجتذبني نحو كائن .

الأجنبي : هو ذاك ! هو اسمي .

إليكترا : أأنت أوريست ؟

أوريست : أوه ! أيتها الأخت العقوق التى لا تعرفنى إلا من اسمى .

[تظهر كليتيمنيستر]

المشهد السابع

كليتيمنيستر ، إليكترا ، أوريست ، السائل

كليتيمنيستر : يا إليكترا !

إليكترا : أمى !

كليتيمنيستر : عودى إلى مكانك فى القصر . دعى هذا البستانى وتعالى .

إليكترا : لم يعد البستانى هنا يا أمى .

كليتيمنيستر : أين هو ؟

إليكترا : إنه تخلى عنى لهذا الرجل .

كليتيمنيستر : لأى رجل ؟

إليكترا : لهذا الرجل الذى هو الآن زوجى .

كليتيمنيستر : ليست الساعة ساعة دعابة ، تعالى .

إليكترا : كيف أجىء وهذا الرجل يقبض على يدى

كليتيمنيستر : أسرعى .

إليكترا : إنك تعرفين أيتها الأم ذلك العقال الذى يقيد به قوائم صغار الخيول لمنعها من الجرى

قد قيّد به هذا الرجل قدمى .

كليتيمنيسترا : فى هذه المرة أنا آمر .. ينبغى أن لا يجن الليل إلا وأنت فى حجرتك . تعالى .

إليكترا : ذلك بالضبط هو ما لا يمكن ! كيف أهجر زوجى فى مساء .. ليلة عرس ! ؟

كليتيمنيسترا : ماذا تصنع هنا ؟ ومن أنت ؟

إليكترا : لن يجيبك. ففم زوجى فى هذا المساء ملك لى بكل كلماته .

كليتيمنيسترا : من أين تأتى ؟ ومن هو أبوك ؟

إليكترا : إذا كان هناك عدم تكافؤ فلن يكون كبيراً .

كليتيمنيسترا : لماذا تنظر إلىّ على هذا النحو ؟ ما الذى فى عينيك يتحدانى هكذا ؟ . . . وأمك من هى ؟

إليكترا : إنه لم يرها قط .

كليتيمنيسترا : هل ماتت ؟

إليكترا : قد يكون ما ترينه فى عينيه هو أنه لم ير قط أمه . إنه جميل ، أليس كذلك ؟

كليتيمنيسترا : نعم ... هو يشبهك .

إليكترا : ما دام أن الساعة الأولى لزواجنا تمنحنا ذلك التشابه الذى لا يتحقق إلا لدى

الزوجين القديمين ، فذلك يبشر بكثير
أليس كذلك أيتها الأم ؟

كليتيمنيستر : من أنت ؟

إليكترا : وماذا يعنيك ، وليس هناك رجل قط أقل منه صلة بك .

كليتيمنيستر : أيا كان الأمر ، وأيا تكون أيها الأجنبي ، فإني أسألك ألا تعينها على نزواتها ، بل أسألك أن تمد إلىّ يد المساعدة . ولنترك إلى الغد الكلام عن كفاءتك لها ، وسأقنع إيجيست ، ولكن لم تبد لى ليلة أقل ملاءمة لما نحن فيه من هذه الليلة . . . دعى هذا الرجل يا إليكترا .

إليكترا : فات الأوان فذراعاه تتشبثان بى .

كليتيمنيستر : أنت تعرفين كيف تحطمين الحديد حين تريدين .

إليكترا : الحديد نعم ، ولكن هذا الحديد لا .

كليتيمنيستر : ماذا قال لك ضد أمك حتى تقبليه على هذا النحو .

إليكترا : لم يكن لدينا حتى الآن وقت لنتحدث عن أمى ولا عن أمه ، فإذا أخليت الميدان لنا فإننا سنبتدئ .

أوريست : يا إليكترا !

إليكترا : هذا هو كل ما يستطيع قوله ، فعندما أرفع يدى عن فمه ينطق باسمى بلا توقف ولا يستطيع أحد أن يظفر منه بشئ آخر ... أوه يا زوجى ، مادام أن فمك حر فقبلنى

كليتيمنيستر : أى عار ! هكذا كان هذا الجنون هو سر إليكترا .

إليكترا : أمام أمى قبلنى .

كليتيمنيستر : وداعا . ولكنى لم أكن أظن أنك فتاة تسلمين نفسك ، لأول عابر سبيل يأتى .

إليكترا : ولا أنا أيضا ، ولكنى كنت أجهل أول قبلة تأتى [تخرج كليتيمنيستر]

المشهد الثامن

إليكترا ، أوريست ، السائل

أوريست : لماذا تمقتين أمنا إلى هذا الحد يا إليكترا ؟

إليكترا : لا تتحدث عنها وعلى الأخص عنها ولنتخيل دقيقة واحدة من أجل سعادتنا ، أننا وُلِدنا من غير أم . لا تتكلم .

أوريست : يجب أن أقول لك كل شئ ؟

إليكترا : إنك تقول لى كل شىء بحضورك فاصمت

واخفض عينيك فكلماتك ونظراتك تصيبنى بقسوة مفرطة وتجرحنى ، فلطالما تمنيت أن أعثر عليك ذات يوم ، أن أعثر عليك فى نومك ؛ لأن العثور على نظرة أوريست وصوته وحياته شئ لم أعد أطيقه دفعة واحدة . كان ينبغى أن أعود نفسى على بديل ، له صورتك يكون أول الأمر ميتا ثم أراه يحيا قليلا قليلا أو أكون عمياء فأنطلق أتلمس مكانه فى الدنيا على غير هدى حتى أعثر عليه ، ما أعظم الابتهاج بالعمى بالنسبة إلى الأخت التى تعثر على أخيها ! لقد ضلت يداى مدى عشرين عاماً ... بين الحقير والرذل . وها هما تان تلمسان أخا ، أخاً كل شىء فيه حق . كان من الممكن أن ينطوى فى كيانه أى فى رأسه أو فى جسده بعض شذوذ يثير الشهة . يا للمصادفة البديعة كل شىء فى أوريست أخى ، كل شىء فيه هو أوريست .

أوريست : أنت تكتمين أنفاسى .

إليكترا : إننى لا أكتم أنفاسك ، ولا أقتلك وإنما أضمك بحنان ، إنى أعيدك إلى الحياة . لقد تمثلت لى

الأخوة جملة فى شخص لا تكاد عينى تتبينه من فرط انبهارها ، فأنا أحاول أن أشكل منه هيئة أخى بكل دقائقها هأنذى أشكل يد أخى وإبهامه الجميل . ما أشد نقاءه ، وهأنذى أشكل صدر أخى وأحمله على الحركة حتى يعلو ويهبط فتفيض منه حيـــاة أخى ، وهأنذى أشكل أذنه ، سأحنى حافتها وأجعلها صغيرة رقيقة كجناح الخفاش ، ثم أعالجها قليلا فتتم هيئتها ، فأشكل الثانيـــة على غرارها ، ما أشد توفيقى فى تشكيل هاتين الأذنين ، وهأنذى أشكل فم أخى ، سأجعل مادته جافة قليلا حتى أثبته ، وهو يختلج فى مكانه من وجه أخى . . . خذ منى حياتك يا أوريست لا من أمك .

أوريست : لماذا أنت تبغضينها ؟ ... استمعى .

إليكترا : ماذا حدث لك ؟ أأنت تنبذنى ؟ لقد صنعتك كما تصنع الأم وليدها . ما أشد عقوق الأبناء . فلا يكاد تكوينهم يتم حتى يطلبوا الانفصال والفرار .

أوريست : إن أحداً يراقبنا من السلم . . .

إليكترا : إنها هي يقيناً هي ، هي الغيرة أو الخوف ، هي أمنا .

السائل : نعم ، نعم هي .

إليكترا : إنها ترتاب في أننا هنا عاكفان على أن نخلق أنفسنا بأنفسنا ، وأن نحرر أنفسنا منها ، وهي ترتاب في أن دعابتي ستحوطك وتفصلك منها ، وتبتر باليتم بنوتك . . . أوه يا أخي ، من سيستطيع أن يمنحني هذه النعمة ؟

أوريست : كيف تستطيعين أن تتحدثي على هذا النحو عمن أنجبتك ! إنني أقل منك قسوة عليها هي التي كانت شديدة القسوة ، بالنسبة إلي .

إليكترا : ذلك هو عين ما لا أستطيع احتماله ، أي أنها أنجبتني ، ذلك هو منشأ خجلي . ويخيل إلي أنني بسببها أتيت إلى الحياة بطريقة ملتوية ، وأن أمومتها ليست سوى مؤامرة تربط بيننا . إنني أحب كل ما يرجع في مولدي إلى أبي . إنني أحب منه كيف خلع ملابس عرسه الجميلة وكيف رقد وكيف — لكي يهبني سر الحياة — تجرد عن أفكاره ، بل عن جسده ذاته . أحب علامات الإجهاد

التى أحاطت عينيه، بعد أن اكتسبت صفة الأبوة المرتقبة ، إنى أحب ما دبَّ ، فى جسده من انبهار خفى يوم مولدى : أشعر أننى وليدة انبهار أبى ، لا من آلام حمل أمى وحبها ، وليدة ليلة استسلم فيها للكرى ، وتسعة أشهر لم تفسد نحول بطنه ، بل من طلبه التسلية عن أمى الحبلى بين أحضان نساء أخريات : من ابتسامته الأبوية التى تلقانى بها . أما كل نصيب أمى فى مولدى فإنى أبغضه .

أوريست : لماذا أنت تبغضين النساء إلى هذا الحد ؟

إليكترا : لست أكره النساء وإنما أكره أمى ، ولست أكره الرجال ، وإنما أكره إيجيست

أوريست : ولكن لماذا تكرهينهما ؟

إليكترا : لست أدرى حتى الآن . وإنما أعرف فقط أنى أشعر بنفس البغض لهما . ومن أجل ذلك هو بغض جد ثقيل ، ومن أجل ذلك أنا أختنق . وكم من المرات حاولت أن أتبين أننى أخص كلا منهما بكراهة مختلفة ، فاجتماع قدرين قليلين من الكراهية فى قلب ، أمر يمكن احتماله فى الحياة

كالأحزان . . فإنها تخف إذا تعادل حزن وحزن . حاولت أن أظن أنى كنت أكره أمى ، لأنها تركتك تسقط وأنت طفل وأكره إيچيست لأنه سلبك عرشك ، ولكن ذلك كان خطأ . ففى الواقع كنت مشفقة على هذه الملكة العظيمة التى كانت تسيطر على العالم والتى عندما استحوذ عليها فجأة فزع أنساها كبرياء الملكة . . تركت طفلها يفلت منها كما لو كانت عجوزا مشلولة . وكنت أشفق على هذا الإيچيست الذى كان مصيره أن يموت ذات يوم على يديك أبأس ميتة وهكذا كانت كل البواعث التى أجدها لبغضهما تبديهما لى على الضد بشرين خليقين بالإشفاق ، ولكن كراهتى الموزعة بسبب هذه البواعث المتفرقة ، لا تكاد تنقلب إشفاقا يغسل الأدران عن هذين المخلوقين ، ويرد إليهما كرامتهما ويرفع قدرهما [وفى الآونة ذاتها التى أجد نفسى فيها أمامها] أعود وديعة طيعة حتى يمتلئ قلبى من جديد بفيض من كراهية المقت فتشملهما موجتها العاتية ، إنه مقت لا حيلة لى فيه .

أوريست : إنني هنا ، فهذا المقت سيزول

إليكترا : كنت أحسب فيما مضى أن عودتك ستحررني من هـــذا المقت ، وكنت أحسب أن علتي آتية من أنك كنت بعيداً ، وكنت أعد نفسي ألا أكون عند مقدمك إلا فيضاً صافياً غير مشوب من الحنان لهما ، ولكني كنت مخطئة ، فعلتي في هذه الليلة ناشئة من أنك قريب مني ، وكل هذا المقت في قلبي إنما يهش لك ويحتفي بمقدمك هو حبي لك ، وهو يلعقك كما يلعق الكلب اليـــد التي ستحل وثاقه . وإنني أشعر بأنك منحتني مرأى البغض ورائحته ، أي أول أثره . والآن سأنطلق أتتبع ذلك الأثر . من هنا ؟ أتكون هي ؟

السائل : لا لا . أنتما تنسيان الساعة ، إنها صعدت إلى مخدعها وهي تخلع ملابسها .

إليكترا : إنها تخلع ملابسها أمام مرآتها ، وهي تتأمل تأملا طويلا في صورة كليتيمنيستر أمنا التي أحبها ، لأنها وفيرة الجمال ، والتي أشفق عليها من تقدم السن التي تزحف عليها ، وإني أعجب بصورتها ونظراتها .. أمنا التي أمقتها .

أوريست : يا إليكترا يا أختى المحبوبة ! أتوسل إليك أن تهدئى .

إليكترا : والآن هل أتبع الأثر ؟ وهل أنطلق ؟

أوريست : إهدئى

إليكترا : إننى هادئة تماماً . أنا ؟ إننى جد وديعة بإزاء أمى .... إن هـذا البغض لها هو الذى يفور ويقتلنى .

أوريست : وأنت بدورك لا تتكلمى وسنعالج غـداً ما يتعلق بهذا المقت . . . ودعينى أتذوق فى هـذا المساء ولو ساعة واحدة حلاوة هذه الحياة التى لم أعرفها ، والتى أنا مع ذلك قد لقيتها من جديد .

إليكترا : ساعة واحدة . إليك ساعة ...

أوريست : إن القصر جميل جداً تحت أشعة القمر... قصرى ... كل سلطة أسرتنا تنبثق منه فى هذه الساعة ... سلطتى ... دعينى أتخيل بين ذراعيك ، أية سعادة كان من الممكن أن تضمها هذه ... الجدران لو كان أهلها أكثر حكمة وهدوءاً . أوه يا إليكترا ، كم من الأسماء فى أسرتنا كانت فى مبدأ حياتها وديعة وعطوفة ، وكان يجب أن تكون أسماء سعادة !

إليكترا : نعم أنا أعرف ذلك كـ « ميديه » و« فيدر » مثلا ...

أوريست : هاتان نفساهما ، لم لا ؟

إليكترا : وكـ « إليكترا » و « أوريست ...

أوريست : فيما يتعلق بهذين ألا يزال فى الوقت متسع ؟ إننى أتيت لإنقاذهما .

إليكترا : اسكت فها هى ذى !

أوريست : من هى ؟

إليكترا : تلك هى التى تحمل ذلك الاسم السعيد : كليتيمنيستر .

المشهد التاسع

إليكترا ، أوريست ، كليتيمنيستر ، السائل ، ثم إيجيست

كليتيمنيستر : يا إليكترا ؟

إليكترا : أماه !

كليتيمنيستر : من هذا الرجل ؟

إليكترا : تنبئى .

كليتيمنيستر : دعينى أر وجهه .

إليكترا : إذا عجزت عن رؤيته على قرب ؛ فإنك على رؤيته عن بعد أشد عجزا .

كليتيمنيستر : يا إليكترا ، لنقف الحرب التى بيننا ، إذا كنت تريدين الزواج حقا من هذا

الرجل فإنني أقبل . لماذا هذه البسمة ؟
ألست أنا التي أردت أن يكون لك زوج ؟

إليكترا : كلا ألبتة ، بل أردت أن أكون زوجة ما .

كليتيمنيستر : وما هو الفرق ؟

إليكترا : لقد أردت أن أكون في صفك ، أردت ألا يوجد أمامك على الدوام وجه تلك التي هي ألد أعدائك .

كليتيمنيستر : وجه ابنتي ؟

إليكترا : وجه الطهارة !

أوريست : يا إليكترا ...

إليكترا : دعني ... دعني ... فقد عثرت على الأثر

كليتيمنيستر : الطهارة ! هذه الفتاة التي تقضمها الشهوات تحدثنا عن الطهارة . هذه الفتاة التي — وسنها سنتان — لم تكن تستطيع أن ترى غلاماً دون أن يحمر وجهها ، وإذا كان يهمك أن تعرفي الحقيقة ، فإنك قذفت بأوريست بعيداً عن ذراعي ، لأنك كنت تريدين أن تقبّليه

إليكترا : إذن كنت محقة ، وأنت ترين أنني فخورة بهذا ، وهو شيء يستحق الفخر [تسمع أبواق وعوغاء وتظهر أشخاص من النوافذ ، ويبدو إيجيست منحنياً من أحد الممرات]

إيجيست : أأنت هنا أيتها الملكة ؟

السائل : نعم هى هنا

إيجيست : نبأ هام أيتها الملكة ، لم يمت أوريست ، وقد فر وهو يتجه نحو أرجوس !

كليتيمنيستر : أورست !

إيجيست : سأرسل لمقابلته أكثر رجالى جدارة بثقتى ، وسأضع حول الأسوار كل المخلصين لى ... أتصمتين ؟

كليتيمنيستر : أورست يعود ؟

إيجيست : هو يعود ليسترد عرش أبيه ، ليسلبنى الوصاية على العرش ، ويمنعك من أن تكونى ملكة ... ورسله يجوبون المدينة ويُعِدّون فتنة ، ولكن اطمئنى فسأرتب الأمور كلها ... من هنا معك ؟

كليتيمنيستر : إليكترا .

إيجيست : وبستانيها ؟

السائل : وبستانيها

إيجيست : إنك لم تعودى تحاولين تفريقهما فيما أعتقد أنت ترين أن مخاوفى كانت فى موضعها ! والآن أنت توافقيننى ؟

كليتيمنيستر : لا ، أنا لم أعد أحاول تفريقهما .

إيجيست : يجب ألا يغادرا القصر ؛ فقدر أصدرت الأمر أن تبقى الأبواب مغلقة حتى عودة الجنود ... وذلك بالنسبة إليهما على الأخص .. أتسمعنى أيتها البستانى ؟

إليكترا : نحن لم نخرج .

إيجيست : وأنت أيتها الملكة اصعدى وعودى إلى حجرتك ؛ فالوقت قد تأخر ، والمجلس سينعقد فى الفجر ... طابت ليلتك

إليكترا : شكراً يا إيجيست .

إيجيست : إنى أتحدث إلى الملكة يا إليكترا ، وليست هذه ساعة السخرية . اصعدى أيتها الملكة !

كليتمنيستر : إلى اللقاء يا إليكترا .

إليكترا : إلى اللقاء أيتها الأم .

[تذهب كليتيمنيستر وتلتفت]

كليتيمنيستر : إلى اللقاء يا زوج ابنتى .

[تصعد السلم فى بطء]

السائل : يرى الإنسان العجب فى هذه الأسرة ! يرى كل شئ .

إليكترا : منَ الذى تكلم ؟

السائل : لا أحد ! لم يتكلم أحد ، من عساه يتكلم فى لحظة كهذه ؟

المشهد العاشر

إليكترا ، أوريست ، السائل

أوريست : إفضى إلى بها يا إليكترا ، أفصحى .
إليكترا : ماذا أقول لك ؟
أوريست : كراهيتك أو سبب كراهيتك ، أنت تعرفينه الآن ، فمنذ ساعة حين — كنت تتحدثين مع كليتيمنيستر — أغمى عليك تقريباً بين ذراعى ، كأن ذلك كان من السرور أو من الفزع .
إليكترا : كان ذلك من السرور ومن الفزع . . . أأنت قوى أم ضعيف يا أوريست .
أوريست : نبئينى بسرك ، وسأعرف بعد ذلك كيف أجيبك .
إليكترا : إنى لا أعرف سرى حتى الآن . وليس لدى سوى طرف الخيط ، ولكن لاتنشغل فسيتتابع كل شئ . . . فخذ حذرك !

[كليتيمنيستر تبدو فى نهاية المسرح]

المشهد الحادى عشر

كليتيمنيستر ، إليكترا ، أوريست ، السائل

كليتيمنيستر : إذن هو أنت يا أوريست ؟
أوريست : نعم أيتها الأم هو أنا .

كليتيمنيستر : أليس عذبا أن يرى المرء أمه وهو فى العشرين من عمره .

أوريست : أن يرى أمًّا طردته ، ذلك محزن وعذب

كليتيمنيستر : إنك تنظر إليها من بعيد .

أوريست : إنها كما كنت أتخيلها .

كليتيمنيستر : وكذلك ابنى أتخيله جميلا وساميا ، ومع ذلك فأنا أقترب منه .

أوريست : أما أنا فلا أقترب ، إن أمى على البعد رائعة .

كليتيمنيستر : ومن ذا الذى يقول لك إن روعتها تدوم إن رأيتها عن قرب .

أوريست : أوْ أمومتها ؟ ... ومن أجل ذلك أنا أبقى جامداً فى مكانى .

كليتيمنيستر : أفحسبك إذن من الأم سرابها ؟ .

أوريست : إن الذى كان لدى منها إلى اليوم أضأل كثيراً من السراب ، إذ على الأقل ، أنى أستطيع أن أقول لهذا السراب مالن أقوى أبداً على قوله لأمى حين أراها حقيقة أمامى .

كليتيمنيستر : إذا كان السراب يكفيك فليكن ، وماذا أنت قائل له ؟ .

أوريست : كل ما لن أقوله لك أبداً . كل ما لو قيل لك لكان كذباً .

كليتيمنيستر : أستقول — مخاطباً للسراب — إنك تحب فيه أملك .

أوريست : نعم

كليتيمنيستر : وتحترمها ؟

أوريست : نعم .

كليتيمنيستر : وتعجب بها ؟

أوريست : هـذا الإعجاب هو الذى تتقاسمه الأم والسراب . على السواء .

كليتيمنيستر : أما أنا فعلى الضد من ذلك . لا أحب سراب ابنى ، ولكن إذا كان ابنى نفسه أمامى يتحدث ويتنفس ، فإننى أفقد قواى .

أوريست : فكرى فى أن تؤذيه . وحينئـذ ستّرتد إليك قواك .

كليتيمنيستر : لماذا أنت متحجر إلى هذا الحد ؟ ومع ذلك فليس عليك علائم القسوة ، وصوتك عذب .

أوريست : نعم إنى أشبه فى كل شىء الابن الذى كان من الممكن أن أكونه . على أنك أنت أيضاً كذلك . فأية أم جديرة بالإعجاب .

أنت تشبهينها فى هذه اللحظة ولو لم أكن ابنك لانخدعت فيك .

إليكترا : وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تتحدثان كلاكما ؟ وماذا تعتقدين أيتها الأم أنك ستربحين من هذا الدلال الأموى الوضيع ؟ وما دامت تلك النافذة الصغيرة قد فتحت دقيقة واحدة ، تلك النافذة التى تسمح للأم والابن أن يلمح كل منهما الآخر . فاستفيدا من ذلك ، وأعيدا إغلاقها لأن الدقيقة قد انتهت .

كليتيمنيستر : ولم السرعة إلى هذا الحد ؟ ومن يقول لك إن دقيقة واحدة من الحب الأموى تكفى أورست ؟ .

إليكترا : كل شىء يقول لى إنك ليس لك الحق طول حياتك فى الحب البنوى أكثر من من دقيقة واحدة ، وقد نلتها ، ونلتها مليئة .... أية مهزلة تلعبين ؟ انصرفى ..

كليتيمنيستر : وداعا .

أومينيدة صغيرة : [تظهر خلف الأعمدة] وداعا يا حقيقة ابنى أوريست : وداعاً .

الأومينيدة الصغيرة الثانية : وداعاً يا سراب أمى .

إليكترا : تستطيعان أن تقولا إلى اللقاء .

المشهد الثانى عشر

إليكترا وأوريست نائمان ، الأومينيدات الصغيرات ، السائل

[الأومينيدات وسنهن اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة سنة]

الأومينيدة الصغيرة الأولى : إنهما ينامان ، لقد أتى دورنا لنمثل كليتيمنيستر وأوريست ، ولكن لا كما يمثلان ذلك الدور هما . فلنمثله حقاً .

السائل : [يتحدث إلى نفسه ولكن فى صوت عال] — إنما الذى أود أن أوضحه ، هو حادثة قذف أوريست أو عدم قذفه .

الأومينيدة الثانية : أما أنت فدعنا فى تمثيلنا ، إننا نمثل .

[تقف الأومينيدات الصغيرات الثلاث فى الأوضاع التى كان فيها ممثل المشهد السابق ، ويمثلن محاكيات]

الأومينيدة الأولى : إذن هو أنت يا أوريست ؟ .

الأومينيدة الثانية : نعم أيتها الأم هو أنا .

الأومينيدة الأولى : أنت أتيت لتقتلنى وتقتل إيجيست ؟ .

الأومينيدة الثانية : ذلك نبأ جديد .

الأومينيدة الأولى : ولكن ليس بالنسبة إلى أختك ... هل سبق لك أن قتلت يا أوريست الصغير ؟

الأومينيدة الثانية : إنما يقتل الإنسان عندما يكون خيراً ... قتلت وَعْلَةً ... ولما كنت – فوق أنني خير – شفيقاً ، فقد قتلت ابنها لكي لا يكون يتيما ... أأقتل أمى ؟ أبداً فأفظع الكبائر ، قتل الوالدين .

الأومينيدة الأولى : أبهذا السيف قتلت الوعلة وابنها ؟

الأومينيدة الثانية : نعم إنه يقطع الحديد ، وهكذا قد اخترق الوعيل بحيث لم يحس بشيء .

الأومينيدة الأولى : ليس لدى هـــدف أتكتمه ولا أريد أن أوحى إليك ، ولكن لو أن سيفاً كهذا قتل أختك لصرنا جد هادئين .

الأومينيدة الثانية : أتريدين أن أقتل أختى ؟

الأومينيدة الأولى : أبداً فقتل الإخوة من أفظع الكبائر أيضاً سيكون المثل الأعلى هو أن يقتلها السيف وحده أى أن يخرج يوماً من غمده ، وأن يقتلها وحده ،وحينئذ أتزوج إيچيست فى سكينة . . . ونستدعيك . . . إن إيچست يتقدم فى السن ، وإنك ستخلفه وشيكا ... وستكون الملك أوريست .

الأومينيدة الثانية : إن السيف لا يقتل وحـــده ، وإنما ينبغى وجود قاتل

الأومينيدة الأولى: هذا واضح ولم يكن لى بد من معرفته ، ولكننى أتكلم عن الحالة التى تقتل فيها السيوف وحدها . إن الذين ينصبون أنفسهم لإصلاح الإساءات هم شر العالم ، وهم لا يلينون قليلا قليلا ، كلما تقدم بهم العمر أرجوك أن تصدق ذلك ، فبينما أن المجرمين بلا استثناء يصيرون فضلاء ، نرى الآخرين بلا استثناء يصيرون مجرمين . حقاً توجد الآن فرصة مواتية لسيف يفكر وحده ويسير وحده ، ويقتل وحده . أما أنت فسيزوجونك من الابنة الثانية لألكمين[1] الابنة ذات الثغر الضاحك والأسنان الجميلة وسيكون الزوج أورست .

الأومينيدة الثانية: أنا لا أريد أن أقتل أختى التى أحبها ولا أمى التى أبغضها .

الأومينيدة الأولى: أنا أعرف ، أنا أعرف . أنك بالإجمال ضعيف وصاحب مبادئ .

الأومينيدة الثالثة: وإذا كان الأمر كذلك ، فلماذا تتحدثان كلتاكما على هذا النحو ما دام أنه فى وسط

(١) ألكمين Alcmène هى ملكة طيبة وزوجة أمفيتريون ملك طيبة ووالدة هيراكليس . (المترجم)

الليل والأحقاد والتهديدات ، يصعد القمر ويشـــدو البلبل ، فارفع يدك عن قبضة سيفك يا أوريست ، لترى هل لديه من الذكاء ما يجعله يعمل وحده .

[يجتمعن كلهن حول أوريست]

الأومينيدة الأولى: هو هكذا ، ارفع يدك . . . إن السيف يتحرك يا صديقاتى . . . يتحرك !

الأومينيدة الثانية: لايوجد شك ، فهذا سيف يفكر . . . إنه يفكر إلى حد أنه خرج إلى نصفه .

أوريست : [ناعساً] يا إليكترا !

السائل : اذهبن ، انصرفن أيتها البومات ! إنكن توقظنهما .

المشهد الثالث عشر

إليكترا ، أوريست ، السائل

السائل : إنما الذى أريد أن أوضحه هو مسألة هل دُفع أورست عفواً أم بدفعة من يد ، إذ يترتب على الإجابة على هذا السؤال ، أن نعرف هل الحق أم الكذب ، هو الذى يثوى فى نفس إليكترا ، سواء أكانت تكذب عن معرفة بكذبها ، أم أن ذاكرتها هى التى صارت

كاذبة ، أما أنا فلا أعتقد أنها دفعته ، انظروا إليها . إنها إذ تحمل أخاها تجلس على ارتفاع شبر من الأرض ، ومع ذلك فهى تحضنه وهو نائم ضامة إياه فى شدة كأنها جالسة به فوق حافة هاوية . لا جرم أنه يرى فى الحلم أنه يسقط ، ولكن هذا من عمل خياله لا جريمة لأخته فيه . أما الملكة فإنها تشبه بائعات الخبز لا ينحنين حتى لكى يلتقطن نقودهن ، وهى تشبه أيضاً ذلك النوع من أنثيات الكلاب التى ترقد فوق صغارها أثناء رضعها فتموت مختنقة ، ومع ذلك تلعقها كما لعقت الملكة أوريست آنفاً ؛ ولكن هيهات للعاب أن يرد الحياة لوليد . إننا نرى الحادثة كما لو كنا من شهودها ، وكل شىء يتضح حين نفرض أن الملكة قد تزينت بمشبك من الماس ، وأن هرًّا أبيض قد مر بجانبها ، وأنها تحمل إليكترا على ذراعها اليمنى لأن الطفلة ثقيلة الوزن ، وتحمل الطفل على الذراع الأخرى ، مبعدة إياه عن صدرها قليلا لكى لا يخدشه دبوس المشبك أو ينغرز فى

جسده ، إنه دبوس تتزين به ملكة ، لا دبوس تثبت به مرضع رداء رضيعها ، فإذا بالطفل يرى الهر الأبيض . إنه يبدو له بديعاً ، هذا الهر الأبيض ، هو حياة غشاها بياض ، هو لون قروه ، وهنا تجذبه عيناه نحو الهر فيسقط ... إن الملكة خضعت لأنانية المرأة ، إذ لم يكن لديها على أية حال لكي تحتفظ بالطفل وتمنعه من الوقوع إلا أن تحرر ذراعها اليمنى من إليكترا الصغيرة ، فلتهلك إليكترا فداء لابن ملك الملوك وتجنيبه أقل أذى ، ولكن الملكة أنانية ، فهى لأنها امرأة تسوّى فى القدر بين الأنثى والذكر ، بين الأرحام والأصلاب ، فلا يجول بخاطرها قط أن تضحى البنت من أجل الابن ، فهى تحتفظ بإليكترا ... على حين أننا نرى إليكترا — وانظروا إليها — قد تكشفت بين ذراعى أخيها ، وهى محقة ، ولم تكن تستطيع أن تجد لذلك فرصة أفضل ، لأن الأخُوّة هى التى تميز بنى الإنسان ، فالحيوانات لا تعرف إلا الشهوة ، فالهرر والببغاوات وما شاكلها

لا تعرف من الأخوة إلا رابطة التماثل فى لون الشعر أو الريش، ولكى تجد الحيوانات أخوة لها، هى مضطرة إلى أن تحب بنى الإنسان وتجرى وراءهم ، وماذا يصنع ذكر البط الصغير حين ينفصل عن سربه ، وحين يقترب منا يرمقنا بعينه العطوف الصغيرة ونحن نأكل أو نعمل ، ذلك لأنه يدرك أننا إخوته ، رجالا ونساء ، ولطالما قبضت بيدى على بط صغار لم يكن منى إلا أن لويت أعناقها لأنها كانت تدنو منى معتمدة على إخوتها ، ولأنها كانت تحاول أن تفهم ما كنت أعمله أنا حين كنت أقطع الجبن مضيفاً إليه البصل ، إن أخا البط هو اللقب الحق للإنسان ، لأن هذا الرأس الصغير الذى تغمسه البطة فى الوحل ليبحث عن طعامه عندما يرفعه نحو الإنسان وقد اصطبغ بلون ذهبى أزرق لا يكون حينئذ سوى مثال النظافة والذكاء والحنان ، أما أنا فإنى أتكفل بأن أعلم هذا البط كيف يكون البكاء . إن إليكترا لم تدفع أوريست إذن ، وذلك يجعل كل ما تقوله لا وزر فيه ،

وكل ما تفعله لا اعتراض عليه ، إنها حقيقة صافية بلا رواسب ، ومصباح بلا زيت ، ونور بلا ذبالة ، بحيث إنها لو قتلت كل سلم وكل سعادة حولها — كما ينبئ الحال أنها توشك أن تفعل — لكان ذلك لأنها محقة ، إذا كانت الفتاة المرهفة الشعور تحس بقلق ينتابها رغم سطوع الشمس فى أجمل بهائها ، وإذا كانت وهى فى أبدع الحفلات والأزمان .. تنتبه إلى رائحة غاز ردىء ، فينبغى لها أن تتقصى مصدره ، لأن هذه الفتاة ترعى الحقيقة كما ترعى ربة البيت بيتها ، وينبغى أن تمضى فى سبيلها حتى لو انهدمت الدنيا حجراً بعد حجر ، وجيلا بعد جيل ، حتى لو لقى ألف برىء ميتة الأبرياء من أجل أن تتحقق للمذنب حياة الذنوب ، وانظروا إلى هذين البريئين ، إن الذى سيكون ثمرة غرسهما هو أن يعيدا إلى الحياة ، إلى العالم ، إلى الأجيال جريمة قد طواها النسيان ، وعقابها نفسه سيكون جريمة أسوأ منها ، كم هما محقان أن يناما أثناء هـذه الساعة التى لا تزال باقية لهما ،

فلندعهما . أما أنا فسأتغيب قليلا وسأوقظهما على أثر عودتى ، إننى أعطس دائماً ثلاث مرات عندما يأخذ القمر فى الصعود ، وحين يعطس المرء فى يديه فإن ذلك نذير تعرضه لخطر مفزع ، أما أنتم جميعاً ممن ستبقون هنا فاصمتوا وانحنوا احتراماً فتلك هى الراحة الأولى لإليكترا ، والراحة الأخيرة لأوريست .

فى فترة الاستراحة

نواح البستانى

لم يعد لى دور أقوم به ، فأنا حر فى أن أجىء ، لأقول لكم مالا تستطيع المسرحية أن تقوله لكم ، ففى مثيلات هذه المآسى لا يستقيم أن يكف أبطالها عن صراع بعضهم لبعض بالقتل والنقمة ليزعموا لكم أن العبرة المنشودة هى أن هدف الحيـــاة الأوحد هو الحب . فما يجافى حسن الذوق أن ترى قاتل أحد والديه يقف شاهراً خنجره ليشيد أمامكم بالحب ، فهذا افتعال بيّن لن يصدقه كثيرون... أما أنا إذ أقف كالمنبوذ فى الخلاء فعن أى شىء أتحدث ، إن لم يكن حديثى عن الحب ، وإنى أتكلم بلا تحيز — أقول إننى لن أرضى أبداً أن أتزوج من امرأة غير إليكترا ، ولن أظفر

بإليكترا . إننى جبلت على ألا أفهم للحياة معنى إلا أن أعيش ليل نهار مع امرأة ، فإذا بى أجدنى سأعيش وحيداً ، أعيش مع امرأة لا أنفك أهبها نفسى فى كل الفصول ، فى كل الظروف ، ولكنى أحترس من ذلك كل الاحتراس . إن الليلة التى أقضيها وحيداً هنا هى ليلة عرسى ، وشكراً على مجيئكم . لن تكون لى أبداً ليلة عرس أخرى . إن عصير البرتقال الذى أعددته لإليكترا لم يكن لى بد من أن أكون أنا الذى يشربه ، وقد شربته كله فلم تبق منه قطرة لأنها ليلة عرس طويلة . وإذن فمن ذا الذى يشك فى كلامى ، آفتى أننى أنطق دائماً بكلام يغاير قليلا الكلام الذى أريد أن أقوله ، وإنها لمصيبة أن يكون هذا هو حالى الليلة فأنا أشعر بالكآبة فى قلبى والمرارة فى فمى . ولا غرو فإن طعم عصير البرتقال كان مراً ، إذ غلبنى طبعى أن أنسى ولو لحظة واحدة أن أحدثكم عن البهجة ، البهجة والحب ، نعم جئت لأقول لكم : إن البهجة والحب أفضل من مرارة النفس والحقد ، ما أبدعهما من كلمتين تصلحان شعاراً ينقش على مدخل البيت ، أو على منديل الحسناء ، ... حقاً إن الحياة صفقة خاسرة ، ولكنها طيبة ، طيبة جداً . لا جرم أن هذه الحياة لا شئ يفلح فيها أو يستقيم ، ولكن ينبغى لكم أن تعترفوا بأنه يحدث أحياناً أن كلّ شئ يفلح بصورة بديعة ، ويستقيم بصورة بديعة ، ولكن هذا لا ينطبق

علىّ . كلا ، الأولى أن أقول : إن هذا ينطبق علىّ أيضاً . فإذا جعلت مرد القياس ما أورثنى أشد آلام الحياة من رغبة فى الحب ، وقدرة على الحب ، حب الجميع كافة . فما عسى أن تكون حال من تكون آلامهم أخف من آلامى ... إن الذى يقترن بامرأة لا يميل إليها قلبه هو أقدر النـــاس على تذوق الحب ، ومن تهجره زوجه بعد أن فاز بها ساعة فى بيته هو أكثر الناس مسارعة إلى البهجة ، والذى يرزق بولد دميم هو أشـــد الناس إعجاباً بالوسامة . لا جرم أن بستانى هذه الليلة لم يعرف الكثير من البهجة ، ولكن الحفل الصغير الذى هيأته جدير بأن يبقى فى الذاكرة طويلا ، وكنت أتوهم أن إليكترا بجانبى أكلمها وأقول لها ... ادخلى يا إليكترا أتشعرين بالبرد يا إليكترا ولكن أحداً لم ينخدع بهذا الوهم حتى الكلب ، وإننى لا أتكلم عن نفسى ، فضمير هذا الكلب يقول : [وعدنى صاحبى أن يأتى لنا بربة بيت ، فإذا ربة البيت التى أتى بها هى مجرد اسم . ها هو ذا الثوب الأبيض الذى ينطبع عليه أثر أقدامى ، فأحجم عن التمسح به ... ها هو قد ارتداه لعقد قرانه مَن مجرد اسم ، وإلى هذا الاسم يقدم عصير البرتقال . إنه يزجرنى إذا نبحت على الظلال ، على ظلال حقيقية ، لا وجود لها . أما هو فإنه يحاول أن يعانق مجرد اسم ، أما عن نفسى فلم يكن لى أن أرقد ، أو أن أضم بين ذراعى مجرد اسم ، هذا شئ يفوق طاقتى]

يستطيع الإنسان أن يتحدث إلى اسم ، وهذا كل ما فى الأمر ، ولو كنتم مكانى حين خلوت لنفسى فى البستان ولفّنى ليل يضل فيـــه كل شئ هَوْنَا مّا فيشغل القمر مكان الشمس وتعدل البومة — وقد عَشَتْ من الضوء — عن الجدول فجعلت تشرب من ماء الحفر ، لو كنتم مكانى لفهمتم ما فهمته أنا ، فهمت الحقيقة ، وفهمتم أنتم أنه فى اليوم الذى يموت فيه آباؤكم أنهم يولدون ، وفى اليوم الذى تفلسون فيه أنكم فزتم بالنجاة ، وفى اليوم الذى يكشف لكم الابن عن عقوقه أنه مثال الإخلاص ، وفى اليوم الذى تحسون فيه أن الناس قد تخلوا عنكم أنهم مقبلون عليكم خفافاً يدفعهم الحنان ، وهذا عين ما حدث لى فى هذه الضاحية الخالية الخرساء ... أما الموكب الذى أقبل علىّ فهو موكب الأشجار المتحجرة والتلال الهامدة ، وكل هذا ينطبق على المسرحية أيضاً . . . لا جرم أنه لا يصح القول إلا بأن إليكترا هى مثال الحب لكليتيمنيستر ، ولكن ينبغى التفريق بين وضع وآخر . إن إليكترا لا تبحث عن أمها بل تبحث فى أول قادم عن أم لها . إنها تتزوجنى لأنها أحست أننى من بين الرجال جميعاً ... أصلحهم أن يكون لها بمثابة أم . ولست فى اكتسابى للأمومة بدعا بين البشر ، فإن من الرجال من يسره الرضى بمتاعب الحمل تسعة أشهر لو كان جزاؤه أن يرزق بفتاة . هذا شأن الرجال جميعاً أو نقول —

إن إليكترا فى بحثها عن أم فى أمها كان ينبغى لها أن تكشف أحشاءها . وليس هناك من حاجة إلى دليـــل إثبات . إذا كان الحديث منصباً على طبقة الملوك ، فإن سعى الفقراء وراء الدليل يخيب دائماً ، أما عند الملوك فلا يخيب ، فهم الذين يعرفون وحدهم جوهر الحب ، وجوهر الكراهية ، كل شىء عندهم يفصح لهم عن جوهره ، وهذا هو الشأن فى هذه المأساة وما تتضمنه من جرائم الفاحشة بين المحارم وقتل الوالدين ، فإذا تم الشىء عن جوهره ، فقد كملت له براءته . لا أدرى هل أنتم مثلى أو لا . أما أنا فلى مذهبى فى فهم هذه المأساة التى تشهدونها وأضرابها فإذا انتحرت بها زوج سلطان كان موتها عندى علامة على الرجاء ، وإذا خان قائد الجيش كانت خيانته علامة عندى على الثقة . وإذا ارتكب أمير جريمة القتل ، كانت فعلته علامة عندى على الحنان . إن بناء الحب يتم على يد القسوة . عفواً ، أريد أن أقول : إنه يتم على يد المأساة . . . فمن أجل هذا فأنا واثق فى هذا الصباح أن السماء تستجيب لو تضرعت إليها وترينى علامة على أن معجزة على وشك الحدوث سترونها على السماء تخط الشعار الذى اتخذته لنفسى حين اصطلح على الهجر والوحدة ، وسترددّ ألسنتكم صداه ، هذا الشعار هو البهجة والحب إذا شئتم تضرعت لطلب المعجزة ، وأنا واثق وثوقى بوجودى أمامكم أن صوتاً من علٍ سيجاوبنى . . .

يجلجل كالرعد ، ويدوى فى الآفاق . إنه صوت الآلهة مسخرلى الرعد ودويه ، إذا طلبته جاء حين أشاء يجلجل مشاعرى « بهجة وحب » ، ولكن الأولى أن أنصحكم ألا نطلب المعجزة . والسبب أولاً — أن طلبها لا يليق . . . فليس من مكانة البستانى أن يطلب من إلهه إثارة زوبعة ، ولو كانت زوبعة من حنان . وثانياً — لأن طلبها لا لزوم له ، فالنفس يخالجها شعور قوى بأن الملأ الأعلى مقبلون فى تلك اللحظة ، وبالأمس ، وفى الغد ، وفى كل يوم ، على أن يهتفوا بالبهجة والحب . . . ولا شىء أكرم للرجل من أن يصدق الآلهة بمجرد قولهم — وإن كان فى عبارة مجرد قولهم تورية — دون أن يرغمهم على التأكيد والتورط ، أو أن يجعلوا ارتباط العلاقات ارتباط دائن ومدين . . . نعم . . . إنى أتضرع لهم أن لا يهتفوا بالبهجة . . . . . أليس كذلك ؟ — أما إذا كان لا مفر لهم من أن يهتفوا بهما فليفعلوا . ولكنى أتضرع إليك يا إلهى ... كبرهان على رضاك ... ومودتك ونداك وهتافك . . . أن يسود الصمت ، أن يسود الصمت لحظة ، فهذا أصدق دلالة ، فاستمعوا ... شكراً ...

الفصل الثانى

نفس اللوحة التى مرت فى الفصل الأول
قبيـــل الصبـــاح

المشهد الأول

إليكترا وهى لا تزال جالسة ومحتضنة أوريست نائماً ، السائل ، صياح ديك ، صوت بوق على بعد .

السائل : إنه لم يعد بعيدا ، أليس كذلك يا إليكترا ؟
إليكترا : نعم لم تعد بعيدة .
السائل : أنا أتحدث عن النهار .
إليكترا : أنا أتحدث عن أشعة النور .
السائل : ألا يكفيك أن تمزق الشمس القناع عن وجوه الكاذبين ، وأن يفضح صفاء الجو سعى مرتكبى القتل والزنى ؟ ذلك هو النهار وهو ليس بالشئ الهين .
إليكترا : كلا فأنا أريد أن تكون وجوههم سوداً فى رائعة النهار ، وأن تكون أيديهم حمراً

فهذا هو عمل النور ، أريد أن تكون عيونهم متأكلة ، وأفواههم متعفنة .

السائل : مادمت على هذه الحال فأنت لا تقنعين بالقليـــل .

إليكترا : هذا هو الديك . . . هل أوقظه ؟

السائل : أيقظيه إذا أردت . أما أنا فلو كنت فى مكانك لأعطيته خمس دقائق أخرى .

إليكترا : خمس دقائق من العدم . . . يالها من هدية تافهة .

السائل : لا أحد يدرى ألبتة ، فهناك حشرات لاتحيا على ما يظهر إلا خمس دقائق ، فهى فى خمس دقائق طفلة فشابة فعجوز ، أى هى تستنفد فيها كل أحداث الطفولة والبلوغ والمرض ؛ فتصاب بانخلاع الركبة وابيضاض العينين ، وتمارس الحب شرعيا وغير شرعى فإذا كانت تلك الحشرة قد ولدت لحظة أن بدأت كلامى ؛ فإنها الآن على الأقل قد أصيبت بالحصبة أو قاربت سن البلوغ .

إليكترا : لننتظر موتها ذلك هو كل ما أسمح به .

السائل : ولكن أخانا ينام نوماً عميقا .

إليكترا : إنه نام على الفور ، فقد فر منى وانزلق

فى النوم كشأنه فى حياته الحقيقية .

السائل : إنه يبتسم وهو نائم ، فالابتسام هو حياته الأصيلة .

إليكترا : قل لى كل شئ أيها السائل ، ما عدا أن الحياة الأصيلة لأوريست هى حياة الابتسام

السائل : إن حياته الحقيقية هى أن يقهقه ، وأن يحب ، وأن يتأنق فى ملبسه ، أن يكون سعيدا ولقد تنبأت بهذا عندما رأيته ، وبالإجمال لو أن أوريست كان محظوظاً فى الحياة لكان مرحاً كالعصفور .

إليكترا : إنه سيء الحظ ، إذ جاء فى غير أوان المرح .

السائل : نعم هذا من سوء حظه ، وذلك سبب آخر فى ألاّ يعجّل بإيقاظه .

إليكترا : ليكن ذلك ، فما دام أن أوريست قد خلق ليقهقه وليتأنق وليمرح كالعصفور ، وما دام أنه سيستيقظ على الدهر دائماً ، فإننى أمنحه خمس دقائق أخرى .

السائل : لو كنت فى مكانك ولى الخيار مثلك لرتبت أمرى فى يومى هذا بحيث تستيقظ الحقيقة لحظة أن يستيقظ النهار ، كأنهما بمثابة قرينين ،

وينم عملك على صراحة خليقة بفتاة كريمة ترتاح لها نفسي . إن يقظة الحقيقة مرتبطة عند الناس أشد الارتباط بتوقيت مفتعل يختلف باختلاف عاداتهم ، فالعمال يعلنون إضرابهم فى أوائل النهار ، والزوجة الآثمة تستغفر زوجها فى أواخره ، وهكذا . إنها يقظة بينة الضلالة والزيف ، وهـذا ما لا يفعله الحيوان ، وإنى به لخبير ، إنه لا يخطئ توقيت يقظته ، فالأرنب يقفز من بين أعشاب الغابة فى اللحظة التى تنبثق فيها الشمس وهكذا أول توثب للإوزة على ساقيها ، وأول انطلاق للدب من بين صخوره ، أؤكد لك أن يقظتها هذه هى استجابة صادقة للحقيقة ، فإذا لم تفلح فلأن الأقدار قضت بغير ذلك ، يلهيها عنها شيء مثل سمكة صغيرة أو نحلة ، أما أنت يا إليكترا فاقتدى بها واجعلى اليقظة قرينة الفجر .

إليكترا : ما أسعد العالم الذى تقتصر فيه الأكاذيب على إغراء بسمك صغير أو نحل ؛ ولكننى أحس فى هذه اللحظة أن الحيوانات من حولنا قد بدأت تتوثب .

السائل : كلا ، إن الذى تحسبن به هو حيوانات الليل تأوى إلى مضاجعها كالقنابر والجرذان . إن الليل هو حقيقتها التى تثوب معها أنصتى إلى آخر اثنين من القافلة ، إنهما بلبلان ولا ريب ، فتلك أيضاً هى حقيقة البلابل .

المشهد الثانى

الأشخاص أنفسهم فى المشهد السابق ، وأجات ، والشاب

أجات : أوه يا حبيبى العزيز ، لقد أفهمتك الآن ما ينبغى قوله . أليس كذلك ؟

الشاب : لقد أعددت لكل حالة ما يناسبها من رد .

أجات : فإذا وجدك على السلم ؟

الشاب : أقول : إنى أتيت لأرى الطبيب الذى يقطن فوق .

أجات : ها أنت ذا قد نسيت أنه طبيب بيطرى ، فاشتر كلباً ... وإذا وجدنى بين ذراعيك ؟

الشاب : سأقول : إنى وجدتك فى الطريق وقد زلت قدمك والتوى مفصلها فحملتك بين ذراعى إلى دارك .

أجات : وإذا وجدنا فى المطبخ ؟

الشاب : سأمثل دور رجل سكران لا يدرى أين

هو ، وأحطم كل الأكواب .

أجات : كوبة واحـــدة تكفى يا حبيبى ، كوبة صغيرة ، وإياك والأكواب الكبيرة فإنها من البلور . . . وإذا وجدنا فى حجرتنا علينا ثيابنا .

الشاب : سأقول : إننى جئت فى طلبه هو لأتحدث معه فى السياسة ، ولا أعرف غير داره مكاناً ألقاه فيه .

أجات : وإذا وجدنا فى حجرتنا وقد تجردنا من ثيابنا

الشاب : سأقول : إننى اقتحمت دارك على غرة فلقيت منك أعنف صد ومقاومة ، وإننى ضحية ظنى ، وإنها امرأة ماكرة خيل إلى أنها تلاحقنى بمختلف الحيل لتصيدنى ، فلما جئتها صرخت قائلة ، اللص اللص . إنها امرأة عاهرة .

أجات : أوه يا حبيبى !

الشاب : إنها أصدق مثال للمرأة العاهرة .

أجات : لقد فهمت ، أوه يا حبيبى ، إن النهار يقترب ، ولم تطل متعتى بك إلا ساعة ، ولكن إلى متى سيظل زوجى يصدق أننى مصابة بداء السير فى أثناء النوم ، وإنه أسلم لى أن

أهيم على وجهتى فى الحديقة من أن أسير فوق سقف البيت ، آه يا حبيب القلب ، أفليست هناك كذبة تتيح لى أن أظفر بك ليلا فى فراشنا وأكون أنا بينكما ولا يجد فى ذلك غرابة ولا ريبة .

الشاب : أعملى فكرك فقد تهتدين إلى هذه الكذبة

أجات : أود كذبة بفضلها يستطيع كل منكما أن يتحدث إلى الآخر عن انتخاباتكما وسباقكما إذا كان ذلك يروقكما ويمر الحديث من فوق أجاتك ... وألا يرتاب هو فى شىء ... هذا هو الذى نحتاج إليه ولا شىء غيره .

الشاب : نعم هذا هو عين ما نحتاج إليه .

أجات : يا للأسف لماذا هو مغرور إلى هذا الحد ؟ ولماذا نومه خفيف إلى هذه الدرجة ؟ ولماذا هو يعبدنى ؟

الشاب : تلك هى الأنشودة الخالدة . لماذا تزوجت به ؟ ولماذا أحببته ؟

أجات : أنا ؟ يا لك من كذاب ، إنى لم أحب قط إلا أنت .

الشاب : إلا أنا ؟ تذكرى بين ذراعى من وجدتك أول أمس .

أجات : ما ذلك إلا لأنى قد أصبت بالتواء فى القدم، وكان ذلك الذى تتحدث عنه يحملنى إلى المنزل .

الشاب : إنى أعرف منذ دقيقة واحدة قصة الالتواء .

أجات : أنت لا تعرف شيئاً ولا تفهم شيئاً . ألا تفهم أن هذه الحادثة قد أهمتنى الفكرة لصالحنا .

الشاب : أذكر لك أننى حينما ألتقى به على سلمك لا أجد معه كلاباً ولا قططاً .

أجات : إنه فارس ، والفارس لا يصعد بجواده المريض إلى عيادة الطبيب .

الشاب : وهو دائماً يخرج من عندك .

أجات : لماذا تكرهنى على كشف أحد أسرار الدولة إنه يأتى ليستشير زوجى ، لأنه يرتاب فى المدينة ، وإنى أتوسل إليك ألا تقول ذلك لأحد ، فإن هذا سيؤدى إلى إقالة زوجى ، وبذلك ستقذف بى إلى البأساء وترمى بى إلى الحضيض .

الشاب : كان يسير فى إحدى الأمسيات مسرعاً ، ووشاحه غير معقود ، وقميصه مفتوح .

أجات : طبعاً لقد حدث ذلك فى اليوم الذى كان يريد فيه أن يقبّلنى ، وقد استقبلته أسوأ استقبال .

الشاب : وما حاجته إلى سماحك له بتقبيلك ، وهو الفتى القوى ، ولقد كنت أنتظر فى أسفل المنزل ، وقد بقى ساعتين .

أجات : انتظر ساعتين ، ولكنى لم أسمح له بأن يقبلنى .

الشاب : إذن قبلك دون إذن ، اعترفى بذلك يا أجات وإلا أنصرف .

أجات : هكذا أنت تكرهنى على هذا الاعتراف ، ذلك هو جزاء صراحتى ، نعم قبّلنى مرة واحدة . . . وفى جبهتى .

الشاب : وأنت لا تجدين ذلك فظيعاً ؟

أجات : فظيعاً ، ومفزعاً !

الشاب : أولا تتألمين من ذلك ؟

أجات : إطلاقاً . . . آه اسألنى عما إذا كنت أتألم إلى حد الموت ! إلى حد الموت قبّلنى يا حبيبى ، فأنت الآن تعرف كل شىء ، وفى الحق أننى لسعيدة بذلك . ألا تفضل أن يكون كل شىء واضحاً بيننا ؟

الشاب : نعم إنى أفضل كل شىء على الكذب .

أجات : ما أرق هذه الطريقة فى التعبير عن أنك

تفضلى على كل شىء ياحبيبى . . .

[تخرج أجات والشاب]

المشهد الثالث

إليكترا ، أوريست ، السائل ، ثم الأوميندات الصغيرات

[لقد كبرن أيضا فهن الآن خمس عشرة سنة]

السائل : [إنها لتحية غرام صباحية فى فجر نهار كهذا ، ذلك هو ربح اليوم على الأقل]

إليكترا : هل ماتت الحشرة أيها السائل ؟

السائل : وذابت فى عالم الفناء ، وإن أبناء أحفادها يكافحون ضد داء النقرس الذى يصيب الهرمين .

إليكترا : يا أوريست .

السائل : أنت ترين جيدا أنه لم يعد نائما وأنه فتح جفنيه .

إليكترا : أين أنت يا أوريست ؟ وفى ماذا تفكر على وجه التحديد ؟

الأوميندة الأولى : يا أوريست هذه هى اللحظة المواتيه فلا تستمع إلى أختك .

الأوميندة الثانية : لا تستمع إليها ، لقد تكشفت لنا مباهج الحياة ، إنها رائعة .

الأوميندة الثالثة : تكشفت لنا مصادفة ، فقد خطونا فى العمر

تحت جناح الليل .

الأومينيدة الثانية : نحن لا نحدثك عن الحب ، وإن كنا نراه نعمة كبرى .

الأومينيدة الأولى : إنها ستفسد كل شيء بزعافها .

الأومينيدة الثالثة : بزعاف الحقيقة الوحيد الذى لادواء له .

الأومينيدة الأولى : أنت محق ، ونحن نعرف فماذا تفكر ، إنه لبديع أن يكون المرء ملكا يا أوريست فإن صورة الملك أوريست تتدلى على صدور فتيات فيقبلنها خلسة ، وهن ينثرن فتات الخبز للإوز فى جداول الحدائق الملكية ، ويوم رحيله إلى الحرب ، وتكون النساء مصطفات فوق السقف ، والسماء كأنها غلالة زرقاء وجواده الأبيض يرقص على نغمات الموسيقى . . . وناهيك بيوم عودته من الحرب إذ يكون وجهه كوجه إله ، لالشيء إلا لأنه ينم عن معاناة شيء من البرد والجوع والخوف والشفقة ، فإذالم يكن للحقيقة بد من أن تفسد كل ذلك ، فلتهلك الحقيقة !

الأومينيدة الثانية : أنت محق ، فان الحب لبديع يا أوريست فمن شأنه أنه إذا ربط بين حبيبين أن يجمع شملهما بغير فراق ، ومن شأن

الحبيبين إذا افترقا أن يعود أحدهما إلى الآخر عدْوا وتتشبث اليد باليد ، وما من موضع يحل به الحبيب إلا وجد نفسه مع حبيبه وجها لوجه ، فالأرض عند المحبين مستديرة . وهأنذا أينما مضيت ألفيت حبيبي يقاطع طريقي وإن كان هذا الحبيب لا يزال في عالم الغيب ، هذه هي النعمة التي تريد إليكترا أن تحرمك وتحرمنا إياها بإلحاحها على كشف الحقيقة ، ونحن ظمآى إلى الحب ففر من وجه إليكترا .

إليكترا : يا أوريست .

أوريست : لقد استيقظت أيتها الأخت .

إليكترا : استيقظ من هذا الاستيقاظ ولا تسمع إلى هؤلاء الفتيات .

أوريست : أوه يا إليكترا ، أواثقة أنت من أنهن غير محقات ؟ أواثقة أنت من أن الإنسان إذا انصرف عن كل هم إلا عن متابعة أثر ثأره القديم لا يكون مسوقاً بأقبح ضروب الخيلاء والاعتداد بالنفس ، لماذا لا نبرح هذا المكان ونستقبل أول طريق يصادفنا ونسير فيه على غير هدى ؟ أناشدك الاعتماد عليّ

والثقة بى ، إنى أنعم الآن بلحظة من تلك اللحظات المشرقة التى أرى فيها بوضوح مبدأ أثر أقدام صيد هارب نطارده ، وما هذا الصيد إلا السعادة .

إليكترا : يا للأسف ! ليس ذلك صيدنا اليوم .

أوريست : ليكن همنا الأوحد ألا نفترق بعد اليوم ، ولنفر من هذا القصر ، ولنذهب إلى تسانيا ، فستّرين هناك منزلى المغمور بالورود والياسمين .

إليكترا : لقد أنقذتنى يا أوريست المحبوب من بين أحضان البستانى . أفتنجينى من الرجل لكى تسلمنى إلى أسْر الزهور ؟

أوريست : روّضى نفسك على الاقتناع ، ولنتخلص من أذرع أنثى الأخطبوط ، هذه التى توشك أن تخنقنا ، ولنهنئ أنفسنا بأننا استيقظنا قبلها . تعالى .

الأومينيدة الأولى : لقد استيقظت انظر إلى عينيها .

الأومينيدة الثالثة : أنت محق ، فما أبدع فصل الربيع يا أوريست حين لا ترى العين — فوق مستوى سياج شجيرات الحسك التى لم تَنْمُ بعد — إلاّ تَنَقُّلَ ظهور الحيوانات على مهل ، وهى تقضم العشب الغض ، ولا يبرز من بينها

سوى رأس الحمار وهو يصوب نظرته إليك ،
فإن كنت قد قتلت عمك حرت فى فهم نظرته
الشاخصة فما أغرب هذه النظرة منه حين يتأمل
يد من قتل عمه ، وهى لا تزال ملطخة بالدماء .

أوريست : ماذا تقول صاحبتنا ؟

الأومينيدة الثالثة : لنمض فى الحديث عن الربيع أيام يتاح تذوق
الجرجير الغض بالزبدة الطافية فوق مياه
الينابيع . ما ألذه من طعام لمن قتل أمه ،
فجرب يومئذ وأنت تبسط على خبزك طبقة
من الزبد بسكين حتى ولو لم يكن السكين
الذى قتلت به أمك وسترى .

أوريست : أعينيى يا إليكترا .

إليكترا : هكذا أنت ككل الرجال يا أوريست ،
أدنى إطراء يثنيك عن عزمك ، وأقل متعة
تفت فى عضدك . أأعينك ؟ إنى أعرف ذلك
الذى تود أن تسمعه منى .

أوريست : قوليه لى إذن .
إن الناس رغم كل شىء أخيار ، وإن الحياة
رغم كل شىء حسنة .

أوريست : أليس ذلك حقاً ؟

إليكترا : وإنه ليس من سوء الحظ أن يكون المرء

شاباً وجميلا وأميراً ، وأن تكون له أخت شابة وأميرة ، وإنه من الخير أن يترك الناس فى مشاغلهم التافهة المؤلفة من دنايا وغرور ، وإنه لا ينبغى أن ننكأ جراح البشر ، بل يجب العيش بين محاسن العالم .

أوريست : أفليس ذلك هو ما تقولينه لى ؟

إليكترا : كلا ، أنا أقول لك إن أمنا لها عشيق .

أوريست : إنك تكذبين ، هذا مستحيل !

الأومينيدة الأولى : إنها أرمل ، فهى محقة .

إليكترا : وأقول لك إن والدناقد قتل .

أوريست : قد قتل أجاميمنون !

إليكترا : طعنه قتلة بالخناجر .

الأومينيدة الثانية : منذ سبعة أعوام ، ذلك تاريخ قديم .

أوريست : أكنت تعرفين ذلك ، وتركتينى نائماً ليلة كاملة

إليكترا : إنى لم أكن أعرفه ، فعلمى هو هدية من أمواج الليل قذفت بالحقائق على شاطئه ولقد أدركت الآن كيف تعمل محترفات كشف الغيب ، وإذ تتجلى بصيرتهن بالكشوف ليلة كاملة على أخ لهن يضممنه وهو نائم إلى صدورهن .

أوريست : والدنا قتل ! من قال لك ذلك ؟

إليكترا : هو نفسه .

أوريست : أكلّمك قبل موته ؟

إليكترا : كلمنى وهو ميت يوم مقتله ، ولكن قوله عبر سبع سنوات من قبل أن يبلغنى .

أوريست : هل ظهر لك شخصه ؟

إليكترا : كلا ، وإنما ظهرت لى جثته هذه الليلة بالهيئة التى كانت عليها يوم مصرعه ، ومع ذلك فإنها تنطق بجلاء لمن يحسن السمع فإن رداءه يقول : « لم تطوطرفى يد الموت ، بل يد القتل » وحذاءه يقول : « لم ينعقد رباطى على حادثة وليدة القضاء والقدر ، بل على جريمة ، وجفنه المنكسر يقول : « إننى لم أر الموت ، بل رأيت قتلة الملك...

أوريست : وفيما يتعلق بأمنا من قال لك ذلك ؟

إليكترا : هى نفسها ، وأيضاً هى نفسها .

أوريست : هل اعترفت ؟

إليكترا : كلا ، وإنما صورتها فى عينى ، صورة امرأة ميتة تجر جثتها من قبل موتها ، ما فى ذلك شك ، ففوق عينيها حاجب لا يكون إلا حاجب امرأة ميتة ، كان لها عشيق .

أوريست : من هو ذلك العشيق ؟ من هو ذلك القاتل ؟

إليكترا : إنما لكى نبحث عنه قد أيقظتك ، ولنأمل أن يكون القاتل هو العشيق أيضاً فلا يتطلب الأمر منك إلا طعنة واحدة .

أوريست : أظن أنه يجب أن تنصرفن أيتها الفتيات ، فأختى تقدم إلىّ عند استيقاظى ملكة تأتى الفاحشة ، وملكا مقتولا ... هما والداى .

الأومينيدة الأولى : ليس ذلك بالأمر الهين فلا تضف إليه شيئاً.

إليكترا : عفواً يا أوريست .

الأومينيدة الثانية : إنها تعتذر الآن !

الأومينيدة الثالثة : أنا أفقدك حياتك وأعتذر .

السائل : هى مخطئة فى اعتذارها ، إذ أن هذا هو نوع الاستيقاظ الذى تحتفظ لنا به زوجاتنا وأخواتنا عادة ، فينبغى أن نظن أنهن خلقن لذلك .

إليكترا : نعم إنهن لم يخلقن إلا لذلك ، فالزوجات والأخوات والأمهات جميعاً عندما يستيقظ الرجال فى الصباح ، فلا يرون بعيونهم المثقلة بالنوم سوى مظاهر النعيم من الديباج والذهب ، هن اللواتى يهززنهم هزا لكى ينتبهوا ويقدمن لهم مع القهوة والماء الساخن

كراهية الظلم واحتقار توافه مباهج الحياة.

أوريست : عفواً يا إليكترا .

الأومينيدة الثانية: هذا هو دوره فى الاعتذار . إنهم مؤدبون فى هذه الأسرة ولو أدى بهم رد التحية أن يخلعوا رءوسهم لفعلوا .

إليكترا : إنهن يرقبن يقظة رجالهن ، فإذا هبوا من رقادهم — وإن لم يطل نومهم إلا هنيهة — يرتدون درع السعادة الذى يؤمن لهم رضى النفس وقلة الاكتراث والكرم والإقبال بشهية على مباهج الحياة ، ويكفى أن تسر عيونهم لرؤية شعاع من الشمس ، يستدير فى بقع قانية حتى ينعقد الصلح بينهم وبين كل دم مراق غَدْراً أو أن تشنف آذانهم أنشودة طائر صدّاح حتى لا يجدوا ضيرا فى سماع دوى الأكاذيب . أما النساء فلا تزال كل واحدة منهن فى مكانها ، لاتريم عنه مترقبة مشرئبة كأنها تمثال قدّتْه يد الأرق من الغيرة والحسد والحب والذاكرة . . . وللحقيقة هل استيقظت يا أوريست ؟

الأومينيدة الأولى: نحن سنبلغ سنها بعد ساعة ، فلتجعلنا السماء مختلفات عنها .

أوريست : أعتقد أنى أستيقظ .
السائل : إن أمّكما آتية يا ابنىّ .
أوريست : أين سيفى ؟
إليكترا : حسن جدا ، هذا هو ما أسميه استيقاظا تاما هاك سيفك ، وهاك مقتك ، وهاك قوتك .

المشهد الرابع

نفس الأشخاص ، كليتيمنيستر

كليتيمنيستر : أمهما تظهر فإذا بهما يجمدان كأنهما تمثالان
إليكترا : بل يتيمان وفى هذا كفاية .
كليتيمنيسترا : أنا لن أستمع بعد إلى ابنة وقحة !
إليكترا : استمعى إلى الابن .
أوريست : من هو أيتها الأم ؟ اعترفى .
كليتيمنيستر : أى ولدين أنتما ؟ إنكما فى كلمتين اثنتين تؤلفان من لقائنا فاجعة ، اتركانى وإلا فسأنادى
إليكترا : من تنادين ؟ أهو ؟
أوريست : أنت تهتاجين كثيرا أيتها الأم .
السائل : تنبه يا أوريست فالصيد الطريد البرىء يهتاج كغير البرىء
كليتيمنيستر : الطريد ؟ أى نوع من الطرائد أنا بالنسبة إلى ابنى ؟ تكلم يا أوريست .

أوريست : لا أجرؤ .

كليتيمنيستر : إليكترا إذن هى ستجرؤ .

إليكترا : من هو أيتها الأم ؟

كليتيمنيستر : عمن أو عن ماذا تريدان أن تتحدثا ؟

أوريست : أيتها الأم أحقا أن لك . . .

إليكترا : لا تحدد يا أوريست ، واسألها بكل بساطة من هو ، فليس فى ضميرها إلا اسم واحد وأيا كان السؤال ، فان هذا الاسم سيعرز لو عرفت كيف تضغط عليها .

أوريست : أحقا أن لك عشيقاً ؟

كليتيمنيستر : أهذا هو سؤالك أيضا يا إليكترا ؟

إليكترا : يمكن وضعه على هذا النحو .

كليتيمنيستر : إن ابنى وابنتى يسألاننى عما إذا كان لى عشيق !

إليكترا : لم يعد زوجك يستطيع سؤالك عن ذلك .

كليتيمنيستر : لو سمعك الآلهة لاحمرت وجوههم خجلا

إليكترا : لو حدث ذلك لأدهشنى فإن الآلهة أصبحوا منذ زمن لا يعرفون حمرة الخجل إلا نادرا

كليتيمنيستر : ليس لى عشيق ولكن حذار من مسلككما فان كل شر أصاب العالم إنما جاء على أيدى الأتقياء والأطهار كما يزعمون بلبشهم الأسرار من مدافنها وكشفها لضوء الشمس الساطعة

إليكترا : ما دام أن ضوء الشمس يكشف القناع فلست أبالى أن يكون الذى يسفر من تحته هو فســـاد . . .

كليتيمنيستر : ليس لى عشيق، ولا أستطيع أن أظفر بعشيق حتى لو رغبت فى ذلك ، ولكن حذار ، فلم يكن لأهل الفضول حظ فى أسرتنا . كانوا إذا مضوا يتعقبون أثر سرقة ، وقعوا على نهب لحرم مقدس ، وإذا تنسموا صلة مريبة بين رجل وامرأة تندس أنوفهم فى فحش بين المحارم ، هيهات أن تستكشفا أن لى عشيقا ، لا لشىء إلا لأنه ليس لى عشيق ، ولكن أقدامكما ستزل فوق أرض زلقة زلة فيها الدمار لإخوتكما ولكما أنتما أيضاً .

إليكترا : من هو عشيقك ؟

أوريست : استمعى إليها على الأقل يا إليكترا .

كليتيمنيستر : ليس لى عشيق، ولكن هل تستطيعان أن تقولا لى أين تكون الجريمة لو كان لى عشيق

أوريست : أوه أيتها الأم ، إنك ملكة !

كليتيمنيستر : إن الكون حديث عهد بنشأة البشر ، ومع ذلك لو بدأنا منذ الآن فى تعداد الملكات اللاتى كان لمن عشاق لدهمنا الغسق من

قبل أن نفرغ .

أوريست : أماه ! أتوسل إليك أن تكافحى هكذا مرة أخرى، وأن تقنعينا بقولك، فلو ردّ هذا الكفاح كرامة الملكة لكان كفاحا مباركا ، ولرد إلينا كل شئ !

إليكترا : ألا ترى أنك تمدها بأسلحتها يا أوريست ؟

كليتيمنيستر : حسن جدا دعنى وحدى مع إليكترا من فضلك !

أوريست : هل ينبغى ذلك أيتها الأخت ؟

إليكترا : نعم ! نعم ! انتظر هناك تحت القبة . وعند ما أهتف قائلة يا أوريست ، يجب أن تجرى نحوى ، إجر إلىّ بكل سرعة ، إذ أكون قد عرفت كل شئ .

المشهد الخامس

كليتيمنيستر — إليكترا — السائل

كليتيمنيستر : ساعدينى يا إليكترا

إليكترا : فى ماذا أساعدك ؟ أعلى قول الحق أم على الكذب ؟

كليتيمنيستر : إحمينى .

إليكترا : هذه هى المرة الأولى التى تنعطفين فيها

نحو ابنتك يا أماه ، لا بد أن تكونى خائفة

كليتيمنيسترا : إننى خائفة من أوريست .

إليكترا : أنت تكذبين ، فلست خائفة من أوريست إذ أنت ترينه كما هو ، أى خاضعا للهوى ، متقلبا ضعيفا ، إنه لا يزال يحلم بحب ساذج عطوف فى أسرة أتريه . إنما ترهبيننى أنا وإنما من أجل تلعبين هذه اللعبة التى لا يزال فهم معناها يستعصى علىّ . إن لك عشيقاً أليس كذلك ؟ ومن هو ؟

كليتيمنيسترا : هو يجهل كل شىء ، إن الأمر لا يخصه .

إليكترا : ألا يعرف أنه عشيقك ؟

كليتيمنيسترا : كفى عن الوقوف منى موقف القضاة يا إليكترا ، وكفى عن ملاحقتى فأنت ابنتى مهما يكن من شىء .

إليكترا : حقاً إنها أشياء جمة لا شىء واحد . ومن أجل هذا أنا ألاحقك .

كليتيمنيسترا : إذا كان الأمر كذلك ، فكفى عن أن تكونى ابنتى — وكفى عن كراهيتى ، وكونى فقط تلك التى أبحث عنها فيك ، وهى المرأة ، ناصرى صالحى ، فهو صالحك . دافعى عن نفسك بدفاعك عنى .

إليكترا : لست مقيدة فى الجمعية النسائية ، وينبغى وجود امرأة أخرى غيرك لكى تستخدمنى لصالحها .

كليتيمنيستر : أنت مخطئة ، فإذا غدرت بمثيلتك فى الحالة والجسم وسوء الحظ ، فإنك ستكونين الأولى فى استحقاق امتعاض أوريست ؛ إذ أن الفضيحة لا تقع ألبتة إلا على الذين يتسببون فيها . ماذا تستفيدين من تلويث جميع النساء بتلويثك إياى . إنك ستدنسين فى نظر أوريست كل ناحية تشبهينى فيها .

إليكترا : أنا لا أشبهك فى شىء . ومنذ وقت طويل لم أعد أنظر فى مرآتى إلا لكى أتأكد من هذه النعمة . ولا جرم أن كل الرخام المصقول وكل أحواض المياه فى القصر قد هتفت لى بذلك من قبل ، وإن وجهك يهتف لى به الآن . فأنف إليكترا ليس فيه شىء من أنف كليتيمنيستر ، وجبهتى لى ، وفمى لى . وليس لى عشيق .

كليتيمنيستر : استمعى إلىّ فليس لى عشيق ، ولكنى أحب .

إليكترا : لا تحاولى هذه الحيلة ، إنك تقذفين بالحب

عند قدمى كالحوذىّ الذى تتعقبه الذئاب فيلقى إليها بكلب ، والكلب ليس طعامى .

كليتيمنيستر : نحن امرأتان يا إليكترا ، ومن حق المرأة أن تحب .

إليكترا : إننى أعرف أن أعضاء نادى النساء لهن كثير من الحقوق ، وأن رسم الانتساب إليه باهظ ، فهو الإقرار بأن كل امرأة مخلوق ضعيف كذاب دنىء . فإذا تم لك أداء رسم الانتساب فتح لك باب الضعف والكذب والدناءة على مصراعيه ، ولكن البلوى هى أن بعض النساء هن على عكس ذلك ، أى من طبيعتهن الثبات والإخلاص والنبل . وإذن فأنت مخطئة ، لم يكن لك الحق فى أن تمنحى حبك إلا لأبى . . . أكنت تحبينه ؟ وفى ليلة عرسك أكنت تحبينه ؟

كليتيمنيستر : ما هو هدفك ؟ أتريدين أن تسمعى منّى أن مولدك ليس ثمرة الحب ، وأنى قد حملت بك حين كانت جذوته خامدة ، كونى راضية ، فليس فى مقدور كل النساء كخالتك ليدا أن تنجب أولادها كما تبيض

الطيور[1]. لم أسمع قط همسك وأنت فى أحشائى، وكنا أنا وأنت منذ أن دبت الحياة فى كيانك لاتبالى الواحدة منا بالأخرى؛ بل لم أحس بآلام الوضع عند مولدك، بل كنت نحيلة كتوماً، وكنت تطبقين شفتيك وإذا كنت قد لبثت هكذا سنة كاملة، فإنما خشية أن يكون أول لفظ ينطق به فمك هو أماه . . . وفى يوم مولدك لم تبك، لا أنا ولا أنت، بل إننا لم نبك أنا وأنت قط معاً .

إليكترا : لا تشوقنى حلقات البكاء والعويل .

كليتيمنيستر : ستبكين عما قريب، كونى واثقة من ذلك، وقد يكون هذا البكاء علىّ .

إليكترا : تستطيع العيون أن تنفرد بالبكاء ... فإنما خلقت من أجل الدموع .

---

(١) هنا المؤلف هنا هفوة صغيرة نشأت من غير شك عما يدعى بسهو العلماء، وهى أنه عبر بقوله (خالتك ليدا) بينما أنها فى الأساطير جدتها لا خالتها . ومنشأ أسطورة البيض أن ليدا زوجة تاندار قد أحبها زوس وزارها زيارة إلهية فى صورة السينى، وهو ذكر أوز أحواض الحدائق فغلبت عليها صورة الطائر الذى تغشاها فباضت . وقد أنسلت هذه السيدة أربعة أطفال . اثنين من زوجها، وهما كليتيمنيستر، وپوليديكلس، واثنين من زوس، وهما كاستور وهيلينيه التى بسببها نشبت حرب طروادة (المترجم) .

كليتيمنيستر : نعم : حتى عينيك أنت أيضاً وإن كانتا جامدتين كالحجر ، وستغرقهما الدموع يوماً ما .

إليكترا : فليأت ذلك اليوم ، ولكن لماذا — لكى تعوقى سيرى — أنت تضعين أمامى عقبة تتطلب الإعراض لا الحب ؟

كليتيمنيستر : فلكى تفهمى أن لى الحق فى أن أحب ، ولكى تعرفى أن كل شىء فى حياتى كان قاسياً مثل ابنتى من يومها الأول ، فما أتيح لى قط منذ زواجى أن أخلو إلى نفسى أو أعتكف وحـــدى ، ولم أذهب قط إلى الغابات إلا يوم المواكب الدينية . ولم أعرف الراحة حتى لجسدى ، فهو بالنهار ترهقه أثقال ثياب من ذهب ، وبالليل ضمة الملك ، يحوطنى الحذر من كل جانب ويلحق حتى الأشياء والحيوان والنبات . وطالما بدت لى أشجار الزيزفون فى حدائق القصر متجهّمة صامتة تفوح منها رائحة صدور الحاضنات ، وكنت أقول لنفسى إنها تغاضبنى كما فعلت إليكترا يوم مولدها ، ولم تحمل قط ملكة قبلى مثل ما حملته من هموم الوشاية ،

وما لقيته من غياب الزوج وحذر الأبناء ومقت البنات . فماذا بقى لى ؟

إليكترا : ما بقى للأخريات وهو الانتظار .

كليتيمنيستر : انتظار ماذا ؟ إن الانتظار فظيع .

إليكترا : قد يكون هذا الانتظار الفظيع هو الذى يرهبك فى هذه اللحظة .

كليتيمنيستر : أتستطيعين أن تقولى لى ما تنتظرينه أنت ؟

إليكترا : لم أعد أنتظر شيئاً ، ولكنى انتظرت أبى مدى عشرة أعوام، والسعادة الوحيدة التى عرفتها فى هذا العالم هى الانتظار .

كليتيمنيستر : تلك سعادة العذارى ، تلك سعادة العزلة .

إليكترا : أتحسبين ذلك . كل ما فى القصر فيما عداك أنت والرجال كان ينتظر معى أبى حليفاً لى فى الانتظار ، مازجا سره بسرى، وكان انتظارى يبدأ يا أماه فى الصباح عند أول نزهة لى تحت أشجار الزيزفون التى تكرهك فأراها تنتظر أبى بشوق تحاول عبثاً إخفاء كربها إن أعمارها تقاس بالآحاد لا بالعشرات كما كان ينبغى ، ويخجلها أنها كانت تخون أبى فى كل ربيع حين لا تقوى على كتمان زهورها وعطورها ، فيضنيها

مثلى فرط الحنين ويصحبنى الانتظار حتى الظهيرة ، حين أذهب إلى مهبط السيل فأراه أسعدنا جميعاً لأنه قادر على الحركة . والشوق إلى أبى هو الذى بعثه فهو يندفع جرياً إلى نهر ، والنهر يندفع جرياً إلى البحر . ثم لايفارقنى الانتظار حتى المساء حينما أصير غير قادرة على الانتظار بقرب كلاب أبى وجياده . يا لها من مخلوقات بريئة ضعيفة قصيرة الأجل فلا يسعفها عمرها بانتظار أبى بدل السنين قروناً ، فإذا بى أختمى بأعمدة القصر وتماثيله وأحذو حذوها فأبقى واقفة تحت نور القمر جامدة مثلها بلا تفكير أو حياة ، وتمر الساعات وأنا أنتظر أبى بقلب من الحجر ، من الرخام ، من المرمر ، من العقيق ، ولكنه كان يخفق ويحطم صدرى لا أعرف ماذا يكون مصيرى لو لم تسعفنى ساعات أخر أمد فيها حبل انتظارى ، أنتظر الماضى وأظل انتظره .

كليتيمنيستر : أنا لم أعد أنتظر ، لأنى أحب .

إليكترا : وهل كل شىء على ما يرام الآن بالنسبة إليك ؟

كليتيمنيستر : كل شئ على ما يرام .

إليكترا : وأخيرا هل الزهور تطيعك ؟ وهل الطيور تحدثك ؟

كليتيمنيستر : نعم ! وزيزفوناتك صارت تومئ إلىّ بالتحية

إليكترا : ذلك ممكن ، فقد سلبتنى كل شىء فى الحياة

كليتيمنيستر : أحيى وإذ ذاك سنتقاسم .

إليكترا : أأقتسم الحب معك ؟ ذلك يكون كما لو تعرضين علىّ أن أقاسمك عشيقك ، فمن هو ؟

كليتيمنيستر : أوه يا إليكترا ! رحماك ! سأقول لك اسمه حتى لو جعلك تحمرين خجلا ، ولكن تمهلى بضعة أيام ، فماذا تنتظرين من وراء هذه الفضيحة . فكرى فى أخيك ، كيف تتخيلين أن شعب أرجوس سيترك أوريست يخلف أمّا ساقطة !

إليكترا : أما ساقطة ! ماغايتك من هذا الاعتراف ؟ أى وقت تريدين كسبه ؟ أى شرك تنصبينه لى ؟ أى سر تحمينه كما تفعل الطيور فى الذود عن عشها بحجلانك بين الحب والوضاعة ؟

كليتيمنيستر : أعفينى من العار العلنى ، لماذا تكرهيننى

على الاعتراف بأنى أحب من طبقة أدنى من طبقتى ؟

إليكترا : أهو ضابط صغير بلا اسم ولا مقام ؟

كليتيمنيستر : نعم .

إليكترا : إنك تكذبين ، فلو كان عشيقك ضابطا صغيرا بلا اسم وبلا مجد لأحببتيه ، ولكنك لا تحبينه ، وأنت لم تحبى قط ، فمن هو ؟ لماذا تأبين على هذا الاسم كما يأبى الإنسان إعطاء مفتاح أية خزانة يخشى فتحها بهذا الاسم ؟

كليتيمنيستر : هى خزانة مملوكة لى ، وهى حبى .

إليكترا : قولى لى اسم عشيقك أيتها الأم ، وأنا أقول لك إن كنت تحبينه ، وسيبقى هذا الاسم بيننا إلى الأبد

كليتيمنيستر : أبدا !

إليكترا : أنت ترين ! ليس عشيقك هو الذى تخفينه عنى ، وإنما هو سرك . إنك تخشين أن يقدم اسمه إلى البرهان الوحيد الذى لا يزال يفلت منى فى هذه المطاردة .

كليتيمنيستر : أى برهان ؟ إنك مجنونة .

إليكترا : هو سبب الجريمة كل شىء يقول لى إنك اقترفتها يا أماه ، ولكن الذى أراه حتى

الآن ، والذى ينبغى أن تعلمينا به هو لماذا كان اقترافك لها ؟ إن كل المفاتيح كما تقولين قد جربتها وليس بينها أى واحد يفتح إلى الآن . لا الحب فأنت لاتحبين شيئا ، ولا الطموح ، فأنت تسخرين من أن تكونى ملكة ، ولا الغضب ، فأنت متأنية تحسبين لكل شئ حسابه ، ولكن اسم عشيقك هو الذى يوضح كل شىء ، وهو الذى سيقول لنا كل شئ ، أليس كذلك ؟ من تعشقين ؟ من هو ؟

المشهد السادس

نفس الأشخاص وأجات يتعقبها الرئيس

الرئيس : من هو ؟ من تعشقين ؟

أجـــات : إنى أمقتك .

الرئيس : من هو ؟

أجات : قلت لك إن كل شى قد انتهى . انتهى الكذب وإليكترا محقة ، وأنا أنتقل إلى صفها . شكرا يا إليكترا ! فأنت تمنحيننى الحياة !

الرئيس : ما هذه النغمة الجديدة ؟

أجـــات : ستسمعها بعد من كل الزوجات وستعرفها .

الرئيس : أستشنف الآن آذاننا بالأنغام ؟

أجات : نعم إننا هنا جميعاً مع أزواجنا غير الأكفاء ومع ترملنا ، ونحن نضنى أنفساً لنجعل حياتهم منعمة وموتهم رضيا وإذا أطعمناهم خُضرًا مصلوقة أردفنا تقديم الملح بابتسامة حلوة ، وإذا دخنوا لفافاتهم الكريهة أشعلناها لهم بلهيب قلوبنا .

الرئيس : عمن تتكلمين ؟ إنك لم ترينى قط آكل خُضرًا مصلوقة .

أجات : فليكن كلامى عن البقول إن كنت تفضل .

الرئيس : أفلا يأكل عشيقك البقول الحامضة ؟ أو لا يدخن اللفائف ؟

أجات : إن البقول التى يأكلها عشيقى تصير كطعام الآلهة الذى ألعق فضلاته ، وكل ما يتلوث بلمس زوجى يخرج من يديه أو شفتيه مطهراً كذلك . . . وأنا نفسى . . والآلهة تعلم ذلك !

إليكترا : لقد وجدت أيتها الأم لقد وجدت !

الرئيس : عودى إلى نفسك يا أجات

أجات : هأنذى أعود إلى نفسى ، إننى أخيراً عدت . إننا نقضى اليوم كله ليله ونهاره نهلك أنفسنا

ونقتلها فى تسليـــة مخلوق إضجاره هو مبعث سرورنا الأوحد ، وفى مصاحبة زوج غيابه هو لذتنا الوحيدة ، وفى إرضاء غرور رجل يجرعنا أكبر إهانة نعرفها فى هذه الدنيا حين يكشف لأعيننا أصابع قدميه وأطراف ثيابه الداخلية . وها هوذا يجرؤ على أن يلومنا على أننا نسرق منه ساعة فى الأسبوع نستنقذها من هذا الجحيم ! . . غير أنه فى الواقع محق ؛ فعند ما تأتى هذه الساعة لا نسلك فيها سبيل الاعتدال .

الرئيس : ها هوذا غرس يديك يا إليكترا ، ففى هذا الصباح نفسه كانت تعانقنى .

أجات : إننى جميلة وهو دميم ، وشابة وهو عجوز ، وحاضرة البديهة وهو غبى ، ولدى نفس وهو مجرد منها ، إنه هو الذى يملك كل شىء إذ يكفى أنه يملكنى ، وأنا لم أتلق من الدنيا شيئاً ، فيكفى أننى تلقيته ، إننى كنت دائماً حتى هذا الصباح باذلة وهابة باليمين واليسار ثم أتصنع فى رقة أننى فى بحر من الهدايا والهبات ، فلماذا ؟ إننى مدين له بحذائه ، وأدعك ياقتك لأزيل عنها

قشر شعر رأسه ، فلماذا ؟ وأعدله القهوة ، فلماذا ؟ إذا أريد تغليب الحق ، كان ينبغي أن أضع له في القهوة سما وأن أدلك ياقته بالزفت والقطران ، أما مسح الحذاء فلا بأس به ، فإنني أستعين بمسح جلده بالبصق فوقه كما أبصق فوقك ، ولكن كل هذا قد انتهى ، انتهى بلا رجعة ، فرحباً بالحقيقة وسلاماً عليها . لقد منحتني إليكترا شجاعتها وكان ما كان . إنني لا أهاب الموت بعد .

السائل : ما أبدع هذه النغمة من الزوجات .

الرئيس : من هو ؟

إليكترا : استمعي أيتها الأم ! استمعي إلى نفسك ، فأنت التي تتحدثين !

أجات : من هو ؟ كل هؤلاء الأزواج يحسبون أنه لا يوجد سوى شخص واحد

الرئيس : أعدة عشاق ! ألك عدة عشاق ؟

أجات : إنهم يحسبون أننا لا نخونهم إلا مع عشاق ، نعم مع العشاق يقيناً ، ولكننا نخونكم مع كل شيء ، فإني أسلم نفسي لغيرك حين تهبط يدي مسترخية بطريقة آلية وقت استيقاظي

فى الصباح ، فتلمس خشب السرير وترتاح له ، فتلك هى خيانتى الأولى لك . ودعنى أستعمل كلمة خيانة ، فهى كلمتك ، فكم مسحت يدى بحب على هذا الخشب وأنا أدير لك ظهرى أثناء أرقى ؟ إنه من شجر الزيتون ، يا له من خشب ناعم ! ويا له من اسم ساحر ! وحين يطرق سمعى فى الطريق اسم الزيتون أقفز من الفرح لأنى أسمع اسم حبيبى . وخيانتى الثانية حين ترى عيناى ضوء النهار من خلال عوارض النافذة .. والثالثة حينما تلمس قدمى ماء الحمام ... فأنا أخونك بيدي وبعينى وبقدمى ، بل فى نظرتى إليك خيانة ، وفى استماعى إليك وأنت فى المحكمة وزعمى أننى معجبة بك خيانة . فاقتلع أشجار الزيتون كلها ، واقتل كل مخلوق برىء القلب من طفل غرير ، وفرخ حمام ، واقض بنضوب الماء وفناء الأرض وانطفاء النار ، واقتل هذا السائل أيضاً ، فإنى أخونك مع كل هؤلاء .

الرئيس : كانت هذه المرأة حتى الأمس إذا سكبت

لى قدحاً من شراب ساخن ووجدته فاتراً سارعت تغـلي ماء جديداً ، أما أنتم فيا لسروركم إذ أن فضيحة صغيرة فى داخل فضيحة كبيرة تروقكم .

السائل : كلا ، إنها بمثابة حيوان الدولاب فى العجلة الكبيرة فحركتها مستمدة منه .

الرئيس : وهذه الفضيحة أمام الملكة تجد عندك ما يسوغها .

إليكترا : الملكة تحسد أجات . الملكة كانت تود أن تقدم حياتها فى سبيل أن تمنح نفسها ما تمنحه أجات لنفسها اليوم . من هو أيتها الأم ؟

السائل : تنبه ولا تستسلم للسهو أيها الرئيس ، فقد مضت دقيقة تقريباً لم تسألها فيها من هو ؟

الرئيس : من هو ؟

أجات : لقد قلته لك : هو كل الناس وكل الأشياء .

الرئيس : هذا يقتضى أن يقتل المرء نفسه ، وأن يضرب الحائط برأسه .

أجات : لا تضايق نفسك من أجلى ، فجدران مدينة « مسينا » متينة .

الرئيس : أهو شاب ؟ أهو شيخ ؟

أجات : إنه فى سن العشاق ، وذلك من السادسة

عشرة إلى الثمانين .

الرئيس : هى تحسب أنها تحط من قدرى حين تشتمنى إن شتائمك لا تلحق إلا إياك أيتها المرأة الساقطة .

أجات : أنا أعرف ، أنا أعرف . فالإهانة تستدعى التعاظم ، وأكثر الناس تظاهراً بالعظمة فى الطرقات ، هم الذين ينهضون بعد انزلاقهم فوق الأرواث .

الرئيس : أخيراً أنت ستعرفيننى ! فأيا كان عشاقك ، فإن الأول الذى ألتقى به منهم هنا سأقتله .

أجات : الأول الذى تلتقى به هنا ؟ إنك تسىء اختيار أمكنتك ، إنك لن تستطيع حتى أن تواجهه .

الرئيس : سأكرهه على الركوع لطلب العفو ، وسأجعله يقبل الرخام ويلعقه .

أجات : سترى كم هو سيقبل الرخام ويلعقه ، عما قريب حين سيدخل هنا ، وسيأتى ليجلس على هذا العرش .

الرئيس : ماذا تقولين أيتها الشقية ؟

أجات : أقول إن لى فى الآونة الراهنة عاشقين ، وإن أحدهما هو إيجيست .

كليتيمنيستر : كذابة !

أجات : كيف أهى أيضاً ؟

إليكترا : أأنت أيضاً أيتها الأم ؟

السائل : هذا عجيب كنت أحسب أن إيجيست إذا مال لإنسان فإنما يميل إلى إليكترا

السائل : [معلناً] إيجيست !

إليكترا : ها هوذا أخيراً !

الأومينيدات : إيجيست

المشهد السابع

نفس الأشخاص ، إيجيست ، أحد الضباط

إيجيست : إليكترا هنا . . . شكراً يا إليكترا إنى أستقر هنا أيها الضابط وإن مقر القيادة هنا .

كليتيمنيستر : وأنا أيضاً هنا .

إيجيست : إننى لمغتبط بذلك . تحيتى إليك أيتها الملكة !

الرئيس : وأنا هنا يا إيجيست

إيجيست : هذا حسن أيها الرئيس ، إنى بالضبط فى حاجة إلى خدماتك .

الرئيس : وفوق ذلك هو يشتمنا

إيجيست : ما بكم وبكن جميعاً ، حتى تنظروا إلىّ على هذا النحو ؟

السائل : ما بهن هو أن الملكة تنتظر من نكث العهد ، وإليكترا تنتظر من أهان المقدسات ، وأجات تنتظر من غدر بها . أما هو فإنه أكثر تواضعاً ، إنه ينتظر من يغازل زوجته ، وبالإجمال : إنهم ينتظرونك فإذا الذى دخل عليهم هو ملك وليس الرجل الذى يعهدون

إيجيست : حقاً لقد خاب ظنهم ، أليس كذلك أيها السائل ؟

السائل : نعم خاب ظنهم ، إنهم كانوا ينتظرون رجلا خليعاً ، فإذا بهم يرون أن القادم عليهم هو ملك ، ولا يهمنى أمرهم جميعاً فيما عدا إليكترا ، فإن هذا سيزيد أمورها تعقيداً .

إيجيست : أتظن أنت ذلك ، أما أنا فلا أظنه .

السائل : إنى كنت أعرف أن هذا سيحدث ، وقد قلته لك بالأمس ، كنت أحس أننا سنكتشف الملك فيك لقوتك وسنك ، ومواتاة الفرصة وجوار إليكترا ، وكان من الممكن أن يترتب على ذلك صدمة دموية ، ولكنك قد تكشفت لنا ملكاً دون شر ، وهذه نعمة لإغريقا ، وإن كانت ليست سارة بالنسبة إلى الأسرة .

كليتيمنيستر : ما هذه الألغاز ؟ وعن ماذا تتحدثان ؟

السائل : وهذا أفضل بالنسبة إلينا أيضاً ! فما دام أنه لا بد من وجود نضال ، فخير أن يكون نضال إليكترا مع النبل ، من أن يكون مع الفحش . كيف حدث لك ذلك يا إيجيست ؟

إيجيست : ألا تتكهن به ؟

السائل : إن الملوك فى العموم يتكشفون عند ما يكون الوطن فى خطر . . .

إيجيست : إنه لفى خطر .

كليتيمنيستر : هل أرجوس فى خطر ؟

إيجيست : أين هم الآن أيها الضابط ؟

الضابط : ترى حرابهم بادية من فوق التلول ، ولم ينبت زرع قط بمثل هذه السرعة وهذه الكثرة . إنهم عدة آلاف .

إيجيست : ألم يستطع سلاح فرساننا مقاومتهم ؟

الضابط : إنه عاد ببعض الأسرى .

كليتيمنيستر : ماذا يحدث يا إيجيست ؟

الضابط : إن أهل كورنت يغزوننا بلا إعلان حرب وبلا سبب . وقد تغلغلوا ليلا فى أراضينا فى صورة عصابات . والضواحى الآن تحترق فعلا .

إيجيست : وماذا يقول الأسرى ؟

الضابط : إن عندهم أمراً ألا يدعوا أرجوس إلا بعد أن يقوضوها حجراً حجراً .

كليتيمنيستر : أظهر لهم نفسك يا إيجيست ، فإنهم سيفرون

إيجيست : إنى أخشى أن هذا لم يعد يكفى أيتها الصغيرة

الضابط : إن لهم أعواناً فى المدينة ، فقد سرقت « براميل » القطران الاحتياطية لكى تستعمل فى إحراق الأحياء الثرية ، وهناك عصابات من المتسولين مجتمعة حول السوق مستعدة للنهب .

كليتيمنيستر : إذا كان الحرس أميناً ، فماذا عسى أن نخشى ؟

الضابط : الحرس مستعد للقتال ، ولكنه متذمر ، فأنت تعرفين أنه لم يذعن قط من قلبه لامرأة ، على أن المدينة هى كذلك ، فكلاهما يطالبان برجل ، بملك .

إيجيست : إنهما محقان ، وسيظفران به .

الرئيس : إن من يود أن يكون ملك أرجوس ، يجب عليه أولا أن يقتل كليتمنيستر يا إيجيست .

الأومينيدة الثانية : أو أن يتزوجها بكل بساطة .

الرئيس : أبداً .

إيجيست : لماذا أبداً ؟ إن الملكة لن تنكر أن ذلك هو الوسيلة الوحيدة لإنقاذ أرجوس ، وإنى لا أرتاب فى موافقتها — أيها الضابط أبلغ الحرس أن الزواج يجرى فى هذه اللحظة نفسها . ولتقصّ على الأنباء فى كل دقيقة فأنا أنتظر الرسائل هنا ، أما أنت أيها الرئيس فأسرع إلى لقاء المتمردين وأنبئهم بالخبر بأشد نبرات صوتك تحمّساً .

الرئيس : أبداً ! فلدى قبل كل شىء كلمة أريد أن أقولها كرجل لرجل ، وأن تقدمها على كل عمل .

إيجيست : قبل كل عمل ؟ قبل شواغل أرجوس ؟ وقبل شواغل الحرب ؟ إنك تغالى !

الرئيس : إن الأمر يتعلق بشرفى ! بشرف قضاة الإغريق .

السائل : إذا كانت العدالة الإغريقية قد حسبت أنه يجب عليها أن تضع شرفها بين ساقى أجات ، فلم تنل إلا ما تستحقه . فلا ينبغى أن نزحم أنفسنا بذلك فى آونة كهذه ، انظروا إلى أجات ! لترى ما إذا كانت تنشغل بشرف القضاة الإغريق بأنفها الشامخ .

الرئيس : أنفها الشامخ ! أأنفك شامخ فى لحظة كهذه يا أجات ؟

أجات : إن أنفى شامخ ، وإنى أنظر إلى ذلك الطائر فوق إيجيست .

الرئيس : أخفضيه .

إيجيست : إنى أنتظر ردك أيتها الملكة .

كليتيمنيستر : طائر ؟ ما هذا الطائر ؟ انتقل من تحت هذا الطائر يا إيجيست !

إيجيست : هذا مستحيل ، فهو لا يدعنى منذ شروق الشمس . وكان جوادى أول من أحس به ، فجعل يرفس بلا سبب ، فنظرت إلى كل مكان ، وأخيراً التفت إلى أعلى فوجدته يرفس ضد هذا الطائر الذى هو على ارتفاع ألف قدم ، إنه بالضبط فوق أليس كذلك أيها السائل ؟

السائل : بالضبط فوقك ، فلو أن طولك كان ألف قدم ، لكان ذلك هو موضع رأسك .

إيجيست : كأنه نقطة ، أليس كذلك ؟ نقطة فوق حرف .

السائل : نعم ، وأنت فى هذه الآونة أبرز الرجال الملموحين فى إغريقا . والأمر هنا يتعلق

بمعرفة ما إذا كانت هذه العلامة هى فوق كلمة إنسان أو فوق كلمة فان .

كليتيمنيستر : أنا لا أحب هذه الطيور المحلقة ، وما هو ؟ أحدأة أم نسر ؟

السائل : إنه جد عال ، كان من الممكن أن أعرفه من الظل ، ولكن الظل لا يصل إلينا من هذا الارتفاع الشاهق ، فهو يتلاشى .

الضابط : [عائداً] الحرس مغتبط يا إيجيست وهو يستعد للمعركة بابتهـــاج . إنه ينتظر أن تظهر فى الطنف مع الملكة ليهتف لكما .

إيجيست : سأؤدى اليمين وسآتى .

الرئيس : يا إليكترا ساعديني ! بأى حق يقدم هذا الداعر على أن يعطينا دروساً فى الشجاعة ؟

السائل : بأى حق ؟ استمع إليه ! . . .

إيجيست : أوه ! أيتها القوى التى تسيطر على العالم ، ما دام أنه يجب على أن أستشهد بك فى فجر هذا الزواج وهذه المعركة ، فإنى أشكرك على هذه الهبة التى منحتنى إياها آنفاً فوق التل الذى يشرف على أرجوس ، وفى الآونة نفسها التى تبدد فيها الضباب . ولقد ترجلت حينئذ عن الجواد ، وكنت متعباً

من «دوريات» الليل، وبغتة فى اللحظة نفسها التى علمت فيها أن أرجوس كانت مهددة ، أبديتها لى فى حالة لم أرها فيها قط ، أى جديدة أعيد خلقها من أجلى ، وأعطيتنى إياها . لقد منحتنى هذه الهبة التى تمنحها الآلهة لرؤساء الأوطان التى هى فى خطر ، حتى لو كان أولئك الرؤساء وضعاء إلى ذلك اليوم . لقد منحتنى إياها كلها : أبراجها ، وقناطرها ، والدخان المتصاعد من مطامير زراع الخضروات ، وهو التنفس الأول لأرضها ، والحمامة التى تطير ، وهى إشارتها الأولى ، وصرير هويسها ، وهو صرختها الأولى ؛ وكل شىء فى هذه الهبة كان ذا قيمة متعادلة ، كالشمس حين تشرق فى أرجوس ، والمصباح الأخير الذى ينطفئ فى أرجوس ، والمعبد والأطلال ، والبحيرة والمدابغ . وكانت هذه الهبة دائمة ! . . . لقد تلقيت مدينتى فى هذا الصباح إلى الأبد ، كما تتلقى الأم طفلها ، ولطالما ساءلت نفسى فى قلق عما إذا لم تكن الهبة أكثر اتساعاً ، وعما

إذا لم أكن قد أعطيت منها أكثر كثيراً من أرجوس . فالإله فى الصباح لا يبخل بهداياه ، وكان أيضاً يستطيع أن يمنحنى العالم . ولقد كان من الممكن أن يكون ذلك إرهاقاً لى ، إذ أنه بالنسبة إلى ، يشبه يأس من ينتظر ماسة لعيد ميلاده ثم يمنح الشمس . خاطرت فى تردد قليل باجتياز قدمى وفكرى حدود أرجوس . أية سعادة ! إن الإله لم يمنحنى الشرق ، فأوبئة الشرق ، وزلازله وحروبه ، كنت ألم بمعرفتها بابتسام ، ولم يكن ظمئى من تلك الأظماء التى تروى من الأنهار الفاترة الجبارة التى تجرى فى صحاريه بين شفتين نضرتين ولم يمنحنى إفريقيا ! فليس شىء من إفريقيا ملكاً لى ، فالنساء السوداوات يستطعن دق الذرة على عتبات الأكواخ ، والنمر يستطيع أن ينشب مخالبه فى جنب التمساح ، وليست هناك حبة من طبيخ الأوليات ، ولا قطرة من دم الأخير ملكاً لى . إننى لسعيد بالهبة التى لم تعط لى ، بقدر سعادتى بهبة أرجوس فلم تعطنى الآلهة

أتينا ولا أوليمبي ولاميسين . ولقد أعطيت ميدان الماشية ، ولم أعط كنوز كورنت . وأعطيت أنوف بنات أرجوس القصيرة ، ولم أعط أنف بالاس (١) الأتينيين . ومنحت برقوق أرجوس المغضن ولم أمنح تين طيبة الذهبي . . . ها هوذا ما منحته في هذا الصباح ، أنا الشهواني الطفيلي الخادع ، منحت بلداً أشعر فيه بأني نقي وقوي وكامل ، وطناً أنا فيه ملك بغتة ، وهذا الوطن أنا أقسم أن أعيش أو أموت لكي أنقذه — أتسمع أيها القاضي ؟

الرئيس : لم أعد أعتمد إلا عليك يا إليكترا !

إليكترا : اعتمد علي ، فليس لأحد الحق في إنقاذ وطن إلا بيدين طاهرتين .

الأومينيدة الأولى : التتويج يظهر كل شئ

إليكترا : من توجك ؟ وبماذا يتبين تتويجك ؟

إيجيست : ألا تتنبئين بذلك ؟ إنه يتبين بأني أتيت لكي أطالبك به ! وبأني للمرة الأولى أراك في حقيقتك وفي سلطتك . وإذا كنت قد غادرت التل معجلا إلى هذا الحد ، وأسرعت

(١) بالاس أثينا هي مينيرفا إلهة الحكمة .

نحو المدينة ، فذلك لأن الفكرة قد خطرت لى بغتة أن إليكترا محتواة فى هدية أرجوس

كليتيمنيستر : ماذا يقول ؟ أصار مجنوناً ؟

الرئيس : ما أشد جنونه !

كليتيمنيستر : أنت تتحدث إلى ألد أعدائك يا إيجيست !

إيجيست : كأن جوادى قد فهم يا إليكترا ! لقد كان جميلا جوادى الأشقر الذى كان يقفز نحو إليكترا يتبعه فَيْلَقٌ من الفرسان فى ضوضاء كدوى الرعد فلا تدهشى إذا أمر رأسه بعد هنيهة بين الأعمدة واتجه نحوك صاهلا ! ولقد فهم أنى كنت أختنق ، وأن اسمك كان على فمى كأنه خاتم ذهبى . وكان ينبغى أن أهتف باسمك وأن أهتف إليك أنت . فهتفت قائلا يا إليكترا !

كليتيمنيستر : كف عن هذه الفضيحة يا إيجيست !

إيجيست : كان كل شىء فى طريقى يتوجنى يا إليكترا وكنت أثناء سيرى أستمع الأشجار والأطفال والسيول تهتف بأنى قد صرت ملكا . . . ولكن كان ينقصنى الزيت المقدس ولقد كانت كل هدية من هدايا التتويج ، تقدم إلى بوساطة أقل الموجودات امتلاكاً

لها ، بالأمس كنت جباناً ، غير أن أرنبًا بريئاً — بأذنيه المضطربتين اللتين كانتا تتجاوزان خط المحراث — قد منحنى الشجاعة منذ هنيهة . وكنت النفاق ذاته ، غير أن ثعلباً قد اجتاز الطريق بعين مليئة بالزيف ، فتلقيت عنه الصراحة . وقد التقيت بزوج من طيور العقاعق ، غير قابل للفرقة فأعطانى الاستقلال . ومسكن النمل منحنى الكرم . وإذا كنت قد أسرعت نحوك يا إليكترا ، فذلك لأنك أنت الكائن الوحيد الذى يمكن أن يمنحنى جوهره الخاص...

إليكترا : أى جوهر ؟

إيجيست : إنى أشعر بأنه شىء يشبه الواجب .

إليكترا : إن واجبى يقيناً فيه القضاء على واجبك ، ولن تتزوج كليتيمنيستر .

الرئيس : إنك لن تتزوجها .

السائل : أما أنت فاتركنا فى سلام ، فقد فوت علينا زواج البستانى والأومينيدات لا يتمسكن حتما بأن يكن أومينيدات متعقبات . إذ من الأكثر مرحاً لهن أن يكن أوانس الشرف فى الزواج !

كليتيمنيستر : ولماذا لا نتزوج ؟ ولماذا نضحى بحياتنا من أجل ابنين عقوقين ؟ نعم أنا أحب إيجيست منذ عشرة أعوام أحب إيجيست . . ومنذ عشرة أعوام أنا أؤجل هـذا الزواج احتراماً لك يا إليكترا ، ولذكرى أبيك ، والآن أنت تكرهيننا عليه ، فشكراً . . . ولكن لا تحت الطائر ، هذا الطائر ينكدنى ، وحينما يرتحل هذا الطائر أنا أقبل .

إيجيست : لا تتعبى نفسك إلى هذا الحد أيتها الملكة ، فأنا لا أتزوجك لكى أجمع أكاذيب جديدة ، إننى لم أعد أحبك ، وإن المدينة كلها ترتاب فى أنك أحببتنى يوماً واحداً ، فمعاشرتنا منذ عشرة أعوام تتعثر بين عدم الاكتراث والنسيان ، ولكن هذا الزواج هو الطريقة الوحيدة لإلقاء قليل من الحقيقة على الكذب الماضى وهو نجاة أرجوس ، وسيكون فى هذه الساعة نفسها .

إليكترا : أنا لا أظن أنه سيكون .

الرئيس : لقد أحسنت ! على أنك أنت تسمعينه ، فهو لم يقل كلمة واحدة عن أجات ، وإننى لحجل بالنيابة عنها ، أنت لن تتزوج كليتيمنيستر .

إيجيست : وأخيراً — هل ستصمت ؟ من أنت فى أرجوس ؟ أأنت زوج تخونه زوجته أم رئيس للعدالة ؟

الرئيس : كلاهما بلا معارضة .

إيجيست : اختر إذن . أما أنا فلا أملك الاختيار . . اختر بين الواجب والسجن فالوقت يعجلنا

الرئيس : لقد سلبتنى أجات ! !

إيجيست : إنى لم أعد ذلك الذى سلبك أجات !

الرئيس : ألم يكن أزواج أرجوس المخونون ضمن منحتك فى هذا الصباح ؟

السائل : بلى ، ولكن لم يعد ذلك الذى خانهم .

الرئيس : أنا أفهم أن الملك الجديد ينسى الإهانات التى أنزلها بالآخرين بوصف أنه وصى .

السائل : إن لون أجات وردى ، فتلك على أية حال إهانة تجعل الألوان وردية .

إيجيست : ملك يطلب اليوم صفحاً عن إساءة وجّهها إليك بالأمس داعر . ذلك يجب أن يكفيك . إستمع أوامرى ، وأسرع نحو محكمتك ، فحاكم المتجمهرين ، وكن قاسياً .

أجات : كن قاسياً ، فلى عشيق شاب بينهم .

الرئيس : أما أنت فكفّى عن النظر إلى هذا الطائر . .

أجات : أنا آسفة ، فهذا هو الشيء الوحيد الذى يعنينى فى العالم .

الرئيس : وماذا ستصنعين أيتها البلهاء عندما سيختفى ؟

جات : ذلك ما أسائل نفسى عنه .

إيجيست : أتسخر منّ أيها الرئيس ؟ أو لم تسمع أولئك الهاتفين ؟

الرئيس : إننى لن أرتحل ! وسأساعد إليكترا فى منع زواجك .

إليكترا : لم أعد فى حاجة إلى معونتك أيها الرئيس . فدورك قد انتهى منذ أن أعطتنى أجات مفتاح كل شيء . شكراً يا أجات ! .

كليتيمنيستر : أى مفتاح ؟

السائل : أى مفتاح ؟

إيجيست : تعالى أيتها الملكة .

كليتيمنيستر : أى مفتاح أعطتك إياه ؟ وعن أية مشاجرة جديدة تبحثين أيضاً ؟

إليكترا : لقد كنت تمقتين أبى ! ! آه ! كم صار كل شيء جلياً على ضوء مصباح أجات .

كليتيمنيستر : ها هى ذى تستأنف فاحمنى يا إيجيست !

إليكترا : كم كنت تحسدين أجات منذ هنيهة ! !

يا لها من لحظة أن تستطيع المرأة أن تصرخ بمقتها فى وجه الزوج الذى تمقته ! لقد أبت عليك الأقدار هذه اللذة أيتها الأم ! ولن تظفرى بها فى حياتك أبداً فقد حسب أبى إلى يوم وفاته أنك كنت تعجبين به وتحبينه ! وفى أكثر الأحايين فى وسط المعابد ، وفى وسط الحفلات أرى وجهك يتجمد وشفتيك تتحركان بلا كلام ، وذلك لأنه قد استولت عليك الرغبة فى أن تصيحى بأنك تكرهينه ، أليس كذلك ؟ وأن يكون هذا أمام المارين والمدعوين والخادمة التى تسكب لك النبيذ ، والشرطى الذى يراقب لصوص الأوانى . . . مسكينة أيتها الأم إنك لم تستطيعى قط الذهاب منفردة إلى الحقول واختاف بذلك أمام قصب الغاب . ومن ثم فإن كل القصب يقص أنك تعبدين أبى . . .

كليتيمنيستر : استمعى يا إليكترا ! !

إليكترا : هو ذاك أيتها الأم ، إهتفى لى به ! فإذا لم يعد هنا فإننى بديلته ، اهتفى لى به ! فسيكون ذلك بالنسبة إليك عذباً كهتافك

به له هو نفسه . فأنت مهما يكن لن تموتى دون أن تهتفى بأنك كنت تمقتينه !

كليتيمنيسترا : تعال يا إيجيست . . . ولنتجاوز عن الطائر .

إليكترا : تقدمى خطوة أيتها الأم وأنا أنادى .

إيجيست : ومن تستطيعين أن تنادى يا إليكترا ؟ وهل يوجد فى العالم كائن يستطيع أن ينتزع منا الحق فى إنقاذ مدينتنا ؟

إليكترا : مدينتنا المليئة بالنفاق والفساد ! — أجل يوجد فيها من ذلك النوع آلاف ، وأنقاهم ، وأجملهم ، وأشبهم ، هو موجود هنا فى ذلك البهو فإذا تقدمت كليتيمنيسترا خطوة واحدة فإنى أناديه .

كليتيمنيسترا : تعال يا إيجيست !

إليكترا : يا أوريست ! — يا أوريست !

[الأومينيدات يظهرن فجأة ويغلقن عليه الطريق]

الأومينيدة الأولى : إنك لمسكينة أيتها الفتاة ! ما أشد بساطتك ! أهكذا أنت تتخيلين أننا سنترك أوريست يتيه بيننا وسيفه بيده ؟ إن الأحداث تجرى بسرعة مفرطة فى هذا القصر ، فلقد كبلناه وكممناه .

إليكترا : ليس هذا حقاً يا أوريست ! يا أوريست !

الأومينيدة الثانية : وأنت أيضاً ستكونين كذلك .

إيجيست : يا إليكترا ! يا عزيزتى إليكترا ، إستمعى إلى ! فأنا أريد أن أقنعك .

كليتيمنيستر : ما أنفس الوقت الذى تضيعه يا إيجيست !

إيجيست : أنا أجىء ! يا إليكترا ، أنا أعرف أنك أنت وحدك التى تفهمين من أنا اليوم . فساعدينى ! ودعينى أقُلْ لك لماذا يجب عليك أن تساعدينى !

كليتيمنيستر : ولكن ما هذا الحماس فى الشرح والشجار ، كأنه ليس فى هذا القصر أناس بل ديكة . أينبغى المضى فى الشرح حتى تسيل الدماء بفقء عيوننا ، وهل ينبغى حملنا نحن الثلاثة بالقوة لكى يتحقق تفريقنا ؟

الرئيس : أنا أظن أن هذه هى الوسيلة الوحيدة أيتها الملكة !

كليتيمنيستر : توجد فى الخارج معركة ينبغى كسبها يا إيجيست !

إيجيست : أنا لا أشعر بالقدرة على كسبها إلا إذا كسبت أولا المعركة التى تجرى هنا !

الضابط : أتوسل إليك يا إيجيست ! أن تسرع .

السائل : أأنت لا تسمع ؟ ليس على إيجيست بعد إلا أن يؤدى إلى القرون المقبلة حساباً عن قضيـــة أجا ميمنون ، وإليكـــترا ، وكليتيمنيستر ، وعلى أثر ذلك سيأتى .

الضابط : بعد خمس دقائق يكون الوقت قد فات .

السائل : سيقوم فيها كل بما عنده ، وبهذا ستنتهى فى خمس دقائق .

إيجيست : اعتقل الرئيس . . . واسكت أنت أيهـــا السائل . . . ودعنى أنبها الضابط ، فما دام أن هذا هو موعد مع إليكترا ، فأنا أريد أن أكون وحدى معها .

[الحراس يأخذون الرئيس ، ويختفى كل الحاضرين ويسود الصمت]

إيجيست : والآن يا إليكترا ، ماذا تريدين ؟

المشهد الثامن

إليكترا ، كليتيمنيستر ، إيجيست ، السائل

إليكترا : إذا كانت لم تأت بعد ، فليس ذلك لأنها تأخرت عن موعدها ، بل لأنها لن تأتى أبداً .

إيجيست : عمن تتحدثين ؟

إليكترا : عمن تنتظرها بالرغم منك ، وهى رسولة الآلهة ، فهذه هى اللحظة التى كان يجب عليها أن تقف فيها بينك وبين كليتيمنيستر بأغصانها الرامزة للانتصار لو كان القرار الإلهى هو أن يبرأ إيجيست بسبب حبه لمدينته ، وأن يتزوج كليتيمنيستر احتقاراً للكذب ، وإنقاذاً للبورجوازية ، والقصور ولكنها لن تأتى .

إيجيست : أنت تعرفين أنها أتت ، فشعاع هذا الصباح فوق رأسى كان هى .

إليكترا : ذلك كان أحد أشعة الصباح ، فكل غلام أقرع يمسه شعاع فى الصباح يحسب نفسه ملكاً .

إيجيست : أترتابين فى صراحتى ؟

إليكترا : إننى مع الأسف لا أرتاب فى ذلك ، غير أنى أتبين فى صراحتك نفاق الآلهة ومكرهم ، فقد حولوا الطفيلى إلى عادل ، والزانى إلى زوج . . . والغاصب إلى ملك . . إنهم لم يجدوا رسالتى شاقة بالقدر الكافى ، فجعلوا منك أنت الذى أحتقرك ، مثلا

خالصاً للشرف . ولكن هناك تحولا يخفق
فى أيديهم . وهو تحويل المجرم إلى برىء ،
وهم فى هذه المسألة ينهزمون أمامى .

إيجيست : أنا لا أدرى ما تقولين .

إليكترا : أنت لا شك تعرفه ولو قليلا ، فجرد
نفسك من العظمة واستمع إليها ، وحينئذ
لن ينبهم عليك كلامها .

إيجيست : من سيقول لى عمن تتحدثين ؟

كليتيمنيسترا : عمن هى تستطيع أن تتحدث ؟ وعن ماذا
تحدثت مرة فى حياتها ؟ عما لا تعرف
حتى عن أب لا تعرفه .

إليكترا : أأنا لا أعرف أبى ؟

كليتيمنيسترا : عن أب منذ سن الخامسة لم تره ولم تلمسه !

إليكترا : أأنا لم ألمس أبى ؟

كليتيمنيسترا : أنت لمست جثة ، لمست ثلجاً كان أباك ،
أما أبوك فلم تلمسيه .

إيجيست : أرجوك يا كليتيمنيسترا ، فيم نقاشك فى
ساعة كهذه ؟ ؟

كليتيمنيسترا : كل له دوره فى النقاش ، والآن جاء
دورى . .

إليكترا : أنت فى هذه المرة محقة ، فهذا هو النقاش

الحق ، فممن كنت أستمد قوتى ؟ وممن كانت تأتينى حقيقتى ، لو أننى لم ألمس أبى حياً ؟

كليتيمنيستر : هذا صحيح . ومن ثم فإنك تهذين ، بل إننى أتساءل عما إذا كنت قد قبلت أباك فقد كنت حريصة على ألا يرشف أولادى بقبلاته .

إليكترا : أأنا لم أقبل أبى ؟

كليتيمنيستر : قبلت جسم أبيك ، وكان قد برد إذا أردت أما أبوك فلم تقبليه .

إلجيست : إننى أتوسل إليكما !

إليكترا : آه إنى أرى لماذا كنت واثقة من نفسك حيالى إلى هذا الحد ، لقد كنت تظنين أننى بلا سلاح ، وكنت تظنين أننى لم ألمس أبى . فيا له من خطأ ! .

كليتيمنيستر : أنت تكذبين .

إليكترا : لقد انتظرتماه كلاكما يوم عودته على سلم القصر لحظة أطول مما كان يتوقع ، أليس كذلك ؟

كليتيمنيستر : كيف تعرفين ذلك ؟ أنت لم تكونى هناك .

إليكترا : إننى أنا التى أخبرته ، إذ كنت بين ذراعيه .

إيجيست : استمعى إلى يا إليكترا ! !

إليكترا : كنت أنتظر بين الجمهور أيتها الأم ! وقد قذفت بنفسى نحوه فاستولى الفزع على حاشيته إذ كانت تحسب ذلك مؤامرة . ولكنه هو أدرك الأمر وابتسم ، وفهم أنها مؤامرة إليكترا ، ولما كان أبا شجاعاً ، فقد منحنى نفسه فلمسته ! !

كليتيمنيستر : أنت لمست جواده وغطاء ساقيه ، أى لمست شعراً وجلداً . .

إليكترا : لقد ترجل أيتها الأم ، ولمست يديه بهذه الأنامل ، ولمست شفتيه بهاتين الشفتين . لمست منه إهاباً لم تلمسيه أنت ، إهابا طهره منك غياب عشرة أعوام .

إيجيست : هذا يكفى . إنها تصدقك .

إليكترا : عرفت حرارة الحياة فى أبى من لمس خدى لخده . إنها عين حرارة حياة الكون كله كما أعهدها بالصيف فى بعض الأحيان ، وهذا يفقدنى وعيى ، وقد احتضنته بهاتين الذراعين ، وكنت أحسب أنى أقيس بهما مقدار حبى لأبى وأقيس بهما أيضاً مقدار انتقامى ، وبعد ذلك انفصل عنى وركب

جواده ، وهو أكثر رشاقة وأبهى سناء ، وكانت مؤامرة إليكترا قد انتهت ، وقد أسرعت نحو القصر لكى أراه من جديد ، ولكنى إذ ذاك لم أكن أسرع نحوه ، وإنما كنت أسرع نحوكما ، نحو قاتليه .

إيجيست : تنبهى يا إليكترا .

إليكترا : إنى قد أكون الساعة لاهثة ، إذ أنى أصل الآن .

كليتيمنيستر : تخلص من هذه الفتاة يا إيجيست ، فلتعط للبستانى من جديد . أو ليقذف بها إلى جانب أخيها .

إيجيست : كفى يا إليكترا . أهكذا إذن فى الآونة التى أراك فيها وأحبك ، والتى لا تجدين فيها عندى إلا كل ما تودين ، من الشجاعة ، والنزاهة ، واحتقار الغدر ، تتشبثين بإثارة المعركة .

إليكترا : ليس لدى سوى هذه اللحظة .

إيجيست : أنت تعترفين بأن أرجوس فى خطر !

إليكترا : نحن نختلف فى معنى الخطر .

إيجيست : أنت تعترفين بأنى لو تزوجت كليتيمنيستر لهدأت المدينة ولنجت أسرة أتريه وإلا لكان

التمرد والحريق .

إليكترا : ذلك جد ممكن .

إيجيست : أنت تعترفين بأنى أنا وحدى الذى أستطيع الدفاع عن أرجوس ضد أولئك الكورانتيين الذين يصلون فعلا إلى أبواب المدينة ؟ وإلا فالنهب والتذبيح .

إليكترا : نعم وأنت ستكون القاهر .

إيجيست : وأنت تعاندين ! وتدمرين رسالتى ! وتضحين لا أدرى لأى حلم ، بأسرتك ووطنك . !

إليكترا : إنك تسخر منى يا إيجيست ! أنت الذى تدعى أنك تعرفنى . أتظن أننى من ذلك الجنس الذى يمكن أن يقال له : « إذا كذبت وتركت غيرك يكذب ، ستظفر بوطن رغد . وإذا أخفيت الجرائم فان وطنك سينتصر ؟ فما هذا الوطن المسكين الذى تدسونه بغتة بيننا وبين الحقيقة ؟

إيجيست : إنه وطنك أرجوس !

إليكترا : لست موفقاً يا إيجيست ، أنا أيضاً قد منحت فى هذا الصباح هبة فى الساعة التى أوتيت أنت فيها أرجوس . وكنت أنتظرها إذ قد

وعدت بها ، ولكنى كنت لا أزال أسىء فهم ما عسى أن تكون ، ففيما مضى منحت كثيراً من الهدايا ، كانت تبدو لى غير متجانسة ، ولم أكن أنجح فى تبين الصلة بينها . . غير أنى فى هذه الليلة إلى جانب أوريست وفى أثناء نومه رأيت أن ذلك يرجع إلى هبة بذاتها ، قدمت إلى ابتسامة امرأة كانت تغسل فتوقفت بغتة عن عملها ، وتجمدت محدقة إلى النهر . وقدم إلى غلام صغير بدين عار أخذ يجتاز الشارع مسرعاً بين صراخ أمه وجارتها . وقدم إلى صياح الطائر الحبيس حين يطلق سراحه ، وصرخة البناء الذى رأيته يهوى من فوق « الصقالة » متباعد الساقين . وقدم إلى نبات الماء الذى يقاوم التيار ، والذى يكافح ويموت . . . والشاب الذى يسعل ويبتسم ثم يسعل ، وخدا خادمتى حين تنتفخان فى صباح كل يوم من أيام الشتاء ، لكى تنفخ فى رماد النار اللازم لى ، ولقد حسبت أنا أيضاً أن أرجوس قد أعطيت لى ، ولقد كان ما فى أرجوس متواضعاً وحنوناً وجميلا ،

وبائساً . ولكنى عرفت منذ هنيهة أن الأمر ليس كذلك . عرفت أنى قد أعطيت الكون ، أعطيت كل وجنات الخادمات ، سواء أكن ينفخن فى الخشب أم فى الفحم ، وكل عيون الغاسلات سواء أكانت مستديرة أم بيضاوية ، وكل الطيور التى تنطق ، وكل البنائين الذين يهوون ، وكل نباتات الماء التى تترك نفسها تتخاذل ثم تعود إلى المقاومة فى الجداول أو فى البحار . ولم تكن أرجوس سوى نقطة واحدة فى هذا الكون ، أى أن وطنى لم يكن سوى قرية فى هذا الوطن الأكبر . كل أشعة البهجة فى الوجوه المكتئبة ، وكل الغصون والظلال فى الوجوه المبتهجة ، وكل الرغبات واليأس فى الوجوه غير المكترثة ، ذلك هو بلدى الجديد . وفى هذا الصباح فى الفجر حين أعطيت لك أرجوس وحدودها الضيقة ، رأيت بلدى الجديد الضخم إلى هذا الحد — وسمعت اسمه ، وهو اسم لا ينطق ، ولكنه الحنان والعدالة فى الوقت ذاته .

كليتيمنيستر : ها هو ذا مبدأ إليكترا . الحنان ، فى هذا

القدر كفاية ! لنرحل ! .

إيجيست : وهذه العدالة التى تجعلك ترهقين مدينتك ، وتدينين أرومتك ، أتجرئين أن تقولى إنها عدالة الآلهة ؟

إليكترا : إننى أعيذ نفسى من ذلك ، ففى هذا البلد الذى هو بلدى لا توكل إلى الآلهة العناية بالعدالة ، لأن الآلهة ليسوا سوى فنانين ، فوميض جميل ينبثق من حريق ، أو عشب جميل ينبت فى ميدان المعركة ، ذلك هو العدالة عندهم . ومن ثم فإن ندما بديعاً على اقتراف الجريمة ، كان هو الحكم الذى أصدره الآلهة فى حالتك وأنا لا أقبله .

إيجيست : وإذن فعدالة إليكترا تنحصر فى إعادة الأخطاء بلا انقطاع ، وفى الحكم بأن كل فساد لا علاج له .

إليكترا : أوه ! كلا فهناك سنين يكون الجليد فيها هو العدالة بالنسبة للأشجار ، وفى سنين أخرى يكون هو الظلم . وقد يحدث أن نحب رجلا قضى عليه بالأشغال الشاقة ، أو ندلل رجالا ارتكبوا جريمة القتل ،

ولكن حين يكون فى الجريمة أذى للكرامة الإنسانية ، أو بلاء للشعب ، أو إفساد لشرفه ، فلا محل للعفو .

إجيست : أتعرفين ما هو الشعب يا إليكترا ؟

إليكترا : حين ترى وجهاً ضخماً يملأ الأفق يطالعك فى صراحة ، وبعينين تنطقان بالشجاعة والبراءة ، فذلك هو الشعب .

إجيست : إنك تتحدثين كفتاة لا كملك ، فالشعب هو جسم ضخم ينبغى حكمه وإطعامه .

إليكترا : إننى أتكلم كامرأة ، فهذه النظرة اللامعة تتغلغل فى الأشياء وتكسوها بلون الذهب ، وهذا هو سر انبهارك بالجمال ، حين ترى من شعوب الأرض أصدقها فى خيالك وهى تنظر إليك بعيون هائلة تنطق بالحقيقة .

إجيست : هناك حقائق يمكن أن تقتل شعباً يا إليكترا !

إليكترا : هناك نظرات لشعوب ميتة تلمع إلى الأبد ، فلندع السماء أن يكون هذا هو حظ أرجوس ، ولكن منذ موت أبى ، ومنذ تأسست مدينتنا على الظلم والجريمة ، ومنذ أن دفع الجبن كل واحد منا إلى التآمر على القتل والكذب ، ومهما عاشت مدينتنا فى

رغد بين غناء ورقص وزهو بالانتصار تحت سماء تتلألأ بالأنوار ، فما هى إلا سرداب مظلم فيه العيون عبث ، والأطفال يرضعون كأنهم عميان .

إيجيست : إن الفضيحة لا يمكن إلا أن تجهز عليها .

إليكترا : هذا ممكن ، ولكنى لا أريد بعدُ ، أن أرى هذه النظرة الكدرة الوضيعة فى عينها .

إيجيست : ذلك سيكلف المدينة آلافاً من العيون الميتة ، والحدقات المنطفئة .

إليكترا : هذا هو الثمن السائر ، وهو ليس غالياً .

إيجيست : استمعى إلى يا إليكترا ليست الحياة فى أتم جمالها سوى مصالحة ورضى وتسليم .

إليكترا : الحياة هى منحة نلناها على أن تأبى كل مصالحة . شأنها شأن بعض المعادن فى هذا الكون غير قابلة للانحناء . ولكن أصلبها لحسن الحظ هو أكثرها تداولا وهو الحياة البشرية .

إيجيست : هذا اليوم هو يومى فدعيه لى ولا تفسديه على ، والحقيقة التى تحملين عبئها — إن كانت هى الحقيقة — سيتاح لها بلا ريب أن تنفجر وتفصح عن ذاتها فى يوم يكون

أكثر ملاءمة لهذا الإفصاح .

إليكترا : إن يوم التمرد هو اليوم الملائم لها .

إيجيست : أتوسل إليك أن تنتظرى إلى غد .

إليكترا : كلا ، إن اليوم هو يومها ، فقد رأيت كثيراً من الحقائق تذبل ، لأنها تأخرت لحظة واحدة . لقد عرفت الفتيات اللواتى تأخرن لحظة واحدة عن أن يقلن لا ، لما هو دميم ، ويقلن لا لما هو وضيع ، واللواتى لم يعرفن بعد ذلك إلا أن يجاوبن بنعم ونعم . هذا هو ما يضفى على الحقيقة أروع جمالها وأفظع قسوتها . إنها خالدة ، وإن كان لمعانها لمعان البرق الخاطف .

إيجيست : يجب على أن أنقذ المدينة ، بل بلاد الإغريق كلها .

إليكترا : هذا واجب صغير ، أما أنا فإنى ألبى نداء نظرتها . . . أنت قتلته ، أليس كذلك ؟

كليتيمنيستر : ماذا تجرئين أن تقولى أيتها الفتاة ! إن كل الناس يعرفون أن أباك قد انزلق على البلاط :

إليكترا : كل الناس يعرفون ذلك ، لأنه روايتكما .

كليتيمنيستر : إنه انزلق أيتها المجنونة ، ما دام قد سقط .

إليكترا : إنه لم ينزلق لسبب واحد ناصع ، وهو أن أبي لم يكن ينزلق ألبتة .

كليتيمنيستر : ماذا تعرفين عن ذلك ؟

إليكترا : إني أسأل منذ ثمانية أعوام أتباعه في الحرب ، والخدمات ، والذين كانوا يسيرون في موكبه أيام المطر والبرد . إنه لم ينزلق قط !

كليتيمنيستر : لقد أفقدته معاناة الحروب هذه السيطرة على حركته .

إليكترا : سألت رفاقه في الحرب فعلمت أنه اجتاز نهر اسكاماندر دون أن ينزلق ، وقد استولى على أسوار طروادة دون أن ينزلق . إنه لم يكن ينزلق في الماء ولا في الدماء .

كليتيمنيستر : لقد كان مسرعاً في ذلك اليوم إذ كنت أنت قد أخرته .

إليكترا : أنا الجانية ! أليس كذلك ؟ تلك هي الحقيقة في رأي كليتيمنيستر ! أذلك هو رأيك أيضاً يا إيجيست ؟ إن قاتل أجاميمنون هو إليكترا !

كليتيمنيستر : إن الخادمات قد أفرطن في غسل البلاط بالصابون ، وأنا أعرف ذلك ، فقد

أوشكت أن أنزلق أنا أيضاً .

إليكترا : آه ! أكنت فى الحمام أيتها الأم ؟ ومن ذا الذى وقاك الانزلاق ؟

كليتيمنيستر : لماذا لم أكن موجودة ؟

إليكترا : مع إيجيست بلا ريب ؟

كليتيمنيستر : مع إيجيست . ولم نكن وحدنا ، بل كان معنا ليون مستشارى ، أليس كذلك يا إيجيست ؟

إليكترا : ليون الذى مات فى اليوم التالى ؟

كليتيمنيستر : أهو مات فى اليوم التالى ؟

إليكترا : نعم وليون أيضاً انزلق ، إنه كان راقداً فى سريره ، وفى الصباح وجد ميتاً . فقد وجد وسيلة للانزلاق إلى الموت ، وهو فى نوم عميق دون أن يتحرك . لقد سلطت عليه من قتله . أليس كذلك ؟

كليتيمنيستر : دافع عنى يا إيجيست ! إننى أستغيث بك !

إليكترا : إنه لا يستطيع لك شيئاً ، فأنت فى الوضع الذى يجب على المرء أن يدافع فيه عن نفسه .

كليتيمنيستر : أوه يا إلهى ! أمن الممكن أن تصل إلى هذه الحالة أم ، بل ملكة !

إليكترا : ما هذه الحالة ؟ نبئينا . كيف يسمى ذلك الذى وصلت إليه ؟

كليتيمنيستر : على يد هذه الفتاة التى لا قلب لها ، ولا بهجة عندها ! آه ! من حسن الحظ أن كريزوتيميس الصغيرة تحب الزهور !

إليكترا : أأنا لا أحب الزهور ؟

كليتيمنيستر : إلى هذا الحد أصل أنا . أتقودنى الحياة فى ممرها السخيف إلى هذا الحد ؟ ! أنا التى كنت فتاة لا تحب إلا الهدوء والعناية بالحيوانات والضحك على الموائد ، والخياطة لقد كنت وديعة إلى حد بعيد يا إيجيست ! وأقسم لك أنى كنت أوْدَعَ الفتيات . ولا يزال فى مسقط رأسى شيوخ كانت كليتيمنيستر فى رأيهم هى رمز الوداعة ذاتها .

إليكترا : إذا ماتوا اليوم فلن يكون عليهم أن يغيروا رمزهم ، إذا ماتوا فى هذا الصباح .

كليتيمنيستر : أنا أصل إلى هـــذا الحد ! أى ظلم لقد كنت أمضى أيامى فى المرج يا إيجيست خلف القصر ، وكان هناك كثير من الزهور التى لم أكن أنحنى لاقتطافها ، بل

كنت أجلس . وكان كلبى يرقد بجوارى عند قدمى ، وهو الذى نبح عند ما أتى أجاميمون لأخـذى . وكنت أعاكسه بالزهور ، فكان يأكلها ليسرنى ، لو أنه كان لا يزال عندى ! ولو أن زوجى كان فارسياً أو مصرياً لكنت الآن خيرة متهاونة مرحة . وكما كنت فى شبابى أغنى وأربى الطيور ، كان من الممكن أن أكون ملكة مصرية غير مشغولة تغنى ، ويكون لها أقفاص طيور مصرية . ونحن الآن فى هذا الموقف فماذا ، صنعت منا هذه الأسرة ، وهذه الجدران ؟

إليكترا : صنعت منكما قاتلين . إنها جدران رديئة !

رسول : مولاى ، لقد استولى الأعداء على الممر ، وباب المدخل السرى للأسوار بدأ يتهاوى .

إليكترا : كونى مسرورة . فالجدران تتحطم .

إيجيست : يا إليكترا ، اسمعى كلمتى الأخيرة . إننى أتجاوز عن كل شىء ، أى عن أوهامك وشتائمك ، ولكن ألا ترين أن وطنك فى الاحتضار ؟

إليكترا : أنا لا أحب الزهور ، أتظنين أن الزهور

التى توضع على قبر الأب تقتطف أيضاً ؟

كليتيمنيستر : ليعد إذن أخيراً ذلك الأب ، وليكف عن تصنع الموت . أية مساومة تهديدية . تحت هذه الغيبة وذلك الصمت . ليعد بطنطنته وغروره ولحيته التى لا بد أن تكون قد طالت فى القبر . ليعد فذلك أفضل .

إليكترا : ماذا تقولين ؟

إيجيست : يا إليكترا . إنى أتعهد بأنه فى الغد حين ستكون أرجوس قد نجت سيختفى الآثمون إلى الأبد ، إذا كان هناك آثمون . . . ولكن لا تعاندى ! أنت وديعة يا إليكترا ! فى أعماق نفسك وديعة ، فاستمعى إلى نفسك . إن المدينة ستهلك .

إليكترا : فلتهلك ، إنى أرى بالفعل حبى لأرجوس محترقاً ومنهزماً ! كلا ولكن أمى قد بدأت تهين أبى فلتمض إلى غايتها .

كليتيمنيستر : ما قصة الجناة هذه ؟ وما هذا الذى تقوله يا إيجيست ؟

إليكترا : إنه قال فى هذه اللحظة فى كلمة واحدة كل ما تنكرينه .

كليتيمنيستر : ماذا أنكر ؟

إليكترا : قال إنك تركت أوريست يسقط ، وإنى أحب الزهور ، وإن أبى لم ينزلق . .

كليتيمنيستر : لقد انزلق . وأقسم أنه انزلق ؛ وإذا كان فى العالم حقيقة فليعكس لنا البرق صورة أبى فى السماء ، فسترينه حينئذ ينزلق بكل عتاده .

إيجيست : يا إليكترا ، إنك تحت سلطانى ، وكذلك أخوك ، وإنى أستطيع أن أقتلكما ، وذلك هو ما كنت أهم بفعله بالأمس ، ولكنى الآن بالعكس ، أتعهد — حين أقصد العدو — بأن أترك العرش وأن أعيد تثبيت أوريست فى حقوقه .

إليكترا : لم تعد المسألة تتعلق بهذا يا إيجيست ، فإذا كان الآلهة قد غيروا منهجهم هذه المرة ، وإذا كانوا قد صيروك عاقلا وعادلا لكى يفقدوك ، فذلك يعنيهم . وإنما المسألة هى معرفة ما إذا كانت تجرؤ على أن تقول لنا لماذا هى تمقت أبى ؟

كليتيمنيستر : آه أتريدين معرفة ذلك ؟

إليكترا : ولكنك لن تجرئى .

إيجيست : يا إليكترا ، فى الغد أمام المذبح ، حيث سنحتفل بالنصر ، سيكون الجانى هناك ، لأنه لا يوجد سوى جان واحد ، يرتدى ملابس الجناية على الوالدين وسيعترف علناً بالجريمة ، وسيحدد هو نفسه عقوبته . ولكن دعينى أنقذ المدينة .

إليكترا : اليوم نجوت بإزاء نفسك ، وبإزائى يا إيجيست . وحسبك هذا ، وأنا أريد حتما أن تتمم أمى قولها .

كليتيمنيستر : آه أنت تريدين أن أتمم قولى ؟

إليكترا : أنا أتحداك .

رسول : لقد اقتحموا البهو الداخلى يا إيجيست .

إيجيست : لترتحل أيتها الملكة !

كليتيمنيستر : نعم كنت أمقته ، نعم ستعرفين أخيراً ماذا كان ذلك الوالد الجدير بالإعجاب ، نعم بعد عشرين سنة سأفوز بالسرور الذى فازت به أجات ، إن المرأة هى للجميع فيما عدا رجل واحد فى العالم ليست له. والرجل الوحيد الذى لم أكن له هو ملك الملوك ، وأب الآباء ، إنه هو منذ اليوم الذى أتى فيه لينتزعنى من منزلى بلحيته الجعداء ،

وبتلك اليد التى كان دائماً يرفع أصبعها الخنصر ، قد مقته . كان يرفع هذه الأصبع ليشرب ، ويرفعها ليقود الجواد حتى إذا كان جامحاً ، وحين كان يمسك صولجانه . وحين كان يمسكنى أنا نفسى ، فلم أكن أشعر فى ظهرى إلا بضغط أربع أصابع ، وكان ذلك يجعلنى فريسة للجنون ؛ وعند ما أسلم فى الفجر أختك إيفيجينى إلى الموت ، كنت أرى بامتعاض الخنصرين فى كلتا يديه مرتفعتين أمام الشمس . ملك الملوك ! أية سخرية ؟ إنه كان مطمئناً ، متردداً ، أحمق ، وكان مغرور المغرورين وساذج السذج . إن ملك الملوك لم يكن قط سوى هذا الخنصر وتلك اللحية التى لم يكن شىء يجعلها ناعمة . فقد كان عبثاً ماء الحمام الذى كنت أغمس رأسه فيه ، وكانت عبثاً ليالى الحب الزائف حيث كنت أمشط شعرها ، وكانت عبثاً زوبعة مدينة دلف التى كانت مع ذلك تجعل شعر الراقصات تحتها كشعر الخيل . وكانت تلك اللحية تخرج من الماء ، أو من السرير ، أو من تحت

الزوبعة ذهبية بأجاعيدها . وكان يشير إلى بتلك اليد ذات الخنصر أن أقترب . . . فكنت أتقدم باسمة ، فلماذا ؟ وكان يطلب إلى أن أقبل فمه فى وسط هذا الشعر الكث ، فكنت أسرع إلى تقبيله وأقبله ، فلماذا ؟ وحين كنت عند اليقظة أخونه كأجات مع خشب السرير ، وخشبه أكثر قيمة يقيناً وأشد فخامة ، وكان يطلب منى أن أحدثه ، ولو أننى كنت أعرف أنه مغرور وتافه ومبتذل ، فقد كنت أقول له : إنه هو التواضع والندرة والبهاء ، فلماذا ؟ وحينما كان يلح قليلا متلعثما ومستوجباً للإشفاق . كنت أقسم له أنه إله . . . ملك الملوك ! إن العذر الوحيد لهذا اللقب هو أنه يثير كل حقد . أتعرفين ماذا فعلت يوم الرحيل يا إليكترا عند ما كانت سفينته لا تزال بادية للنظر ، وقد ذبحت أكثر الكباش صوفاً مجعداً وأقلها نعومة ، وانزلقت عند منتصف الليل إلى قاعة العرش منفردة لكى آخذ الصولجان بكلتا يدى . والآن أنت تعرفين كل شىء ، كنت تريدين نشيداً

للحقيقة فها هو ذا أجمل النشائد .

إليكترا : أوه ! يا أبى عفواً .

إيجيست : تعالى أيتها الملكة .

كليتيمنيستر : لتعتقل هذه الفتاة أولا ، ولتكبل .

إليكترا : أتغفر لى ، إننى استمعت إليها يا أبى ، ألا ينبغى موتها يا إيجيست ؟

إيجيست : وداعاً يا إليكترا .

إليكترا : اقتلها يا إيجيست وأنا أعفو عنك . .

كليتيمنيستر : لا تتركها حرة يا إيجيست ، إنهما سيطعنانك فى ظهرك .

إيجيست : ذلك ما سنراه . دعوا إليكترا ، وفكوا وثاق أوريست .

[إيجيست وكليتيمنيستر يخرجان]

إليكترا : الطائر ينزل أيها السائل ، الطائر ينزل .

السائل : آه ، إنه عقاب .

المشهد التاسع

إليكترا ، المرأة نرسيس ، السائل ثم أوريست

[جمهور ضخم من المتسولين يتغلغلون إلى المسرح ، ويستقرون فوق الجدران وفى الأبهاء ويبدون بأحركات ملاحظاتهم على قصة السائل]

السائل : ها أنت ذى أيتها المرأة نرسيس ؟

المرأة نرسيس : إننا نحن المتسولين نصل جميعاً لإنقاذ إليكترا وأخيها نحن المقعدين والعمى والعرج .

السائل : بالاختصار أنتم العدالة !

المرأة نرسيس : إنهم هنا مشغولون بفك وثاق أوريست .

السائل : يا نرسيس استمعى إلى أصف لك كيف قتلاه ، سأقص عليك كيف حدث كل شيء دون أن أخترع شيئاً ألبتة : إن الملكة هى التى ابتدعت فكرة الغسل بالصابون على الدرجات التى تنزل إلى الحمام . ثم دبرا الأمر فيما بينهما . وبينما أخذت كل ربات المنازل تغسل بالصابون عتبات بيوتهن احتفالا بعودة أجامينون ، مضت الملكة وعشيقها يغسلان بالصابون عتبة موته . من السهل تصور بشاعة حالة هاته الأيدى حينما دخل أجاميمنون ... وإذ ذاك مد أبوك ذراعيه إليهما فانزلق يا إليكترا . أنت محقة فى روايتك إلا فى تحديد موقع السقطة ، فإنه انزلق إلى وسط البلاط ، وسقط سقطة لها ضجيج من أثر الخوذة والدروع ، إنه ضجيج ملك سقط ، لأن

كل ما على جسمه كان من الذهب ، هى التى قذفت بنفسها لتهبضه ، هذا فى ظنه ، ولكنها أبقته طريحاً دون أن يفهم ما حدث ، لم يفهم زوجته العزيزة التى تستبقيه على الأرض يتساءل : هل الحب هو الذى جعلها تندفع نحوه ؟ ولكن لو كان الأمر كذلك ، فما معنى بقاء إيجيست معها ؟ حقاً إن هذا الشاب إيجيست يقحم نفسه فى خلوة الزوجين بغير أدب ، ولا كياسة . من الجائز أن يغشى الخجل ملك الملوك إذا هوى ، وهو الذى يعود إلى مقره بعد أن استولى على طروادة ، وبعد أن حضر أعظم استعراض للأسطول والفرسان والمشاة والذى يهوى على ظهره فى ضوضاء سقوط الأوانى أمام زوجته المذهلة ، وأمام الشاب حامل الراية حتى ولو لم تمس لحيته وبقيت مجعدة ، كان من الجائز تفسير سقطة الملك بأنها فأل سيء ، معناه أنه سيموت بعد سنة أو بعد خمس سنوات ، ولكن الغريب فى نظره أن زوجته المحبوبة قبضت على يديه واتكأت عليه بكل ثقلها لتبقيه على

ظهره كما تفعل الصائدة بالسلاحف الضخمة المتخلفة على الشواطىء بعد خروجها من البحر ، ولكنها أساءت إلى نفسها ، فوجهها فقد رواءه وهو محتقن بالدم ، وفقدت رقبتها جمالها ، وقد ملأها انحناؤها بالتجاعيد ، ولم تكن تلك حالة الشاب إيجيست الذى حاول أن ينتزع منه سيفه ليجنبه الألم بلا ريب ، ثم يرتد عنه ، فإذا وجهه يشع جمالا . والغريب أنهما بقيا صامتين بينما مضى الملك يكلمها ويقول لها : « يا زوجتى العزيزة ما أقواك » ! وأنت أيها الشاب « تناول السيف من قبضته » . . . انعقد لسانها ، ونسى الناس أن يقولوا له أثناء سنى غيبته العشر ، إن الملكة أصبحت خرساء ، وإن وصفاء القصر أصبحوا هم أيضاً خرسا ... ظلا صامتين شأن الذى يعد الحقائب حين يقترب الرحيل ، كما لو كان عليهما أن يفعلا شيئاً ، وأن يفعلاه سريعاً قبل أن يقدم إنسان . ليت شعرى أى متاع كان عليهما إعداده بهذه العجلة ؟ وبغتة عرف الملك كل شىء

حين دفع إيجيست الحوذة بقدمه ، كما يعلم المحتضر أنه يوشك على الموت حين تدفع الأقدام كلبه ، فصرخ قائلا : أيتها المرأة دعيني . أيتها المرأة ماذا تصنعين ؟ هيهات أن تقول له ما تفعله، إذ لا تستطيع أن تجيبه بقولها له : « إنني أقتلك ، إنني أفتك بك » . . . ولكنها أخذت تتمتم بذلك لنفسها وتقول : « أنا أقتله » ما لهذه اللحية قد اختفت بوادر شيبها ؟ إنني أفتك به ، لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة للفتك بهذا الخنصر » .

وكان قد حل بأسنانه رباط الدرع ، وقد أخذ طرفاه ينفصلان على حين أن اقترب منه إيجيست شاهراً سيفه ، فبدا إيجيست مكتسياً بالجمال ، وقد رأى أجاميمنون هذا الجمال عينه بجلال أشيل وهو يقتل هيكتور وأود يسوس وهو يقتل دولون . حينئذ ضرب ملك الملوك بقدمه كليتيمنيستر عدة ضربات في ظهرها فكانت تقفز عند كل ضربة ، ويتداخل بعضها في بعض ، ورأسها الأخرس متشنج ، وأخذ الملك يصرخ ،

واندفع إيجيست لكى يحجب صراخه ، فى قهقهة عالية ، بوجه جامد ، ثم غرز السيف . لم يكن ملك الملوك كياناً من النحاس والحديد كما كان يظن ، وإنما كان لحماً طرياً يسهل اختراقه ، كلحم الحمل ، طعنه بقوة فاخترق السيف جسمه ، وشق البلاط . إن القتلة يخطئون إذ طعنوا الرخام كذلك ، فإنه هو أيضاً يلاحقهم بحقده فبفضل هذه الطعنة فى الرخام أدركت وقوع الجريمة . . . عند ذلك ، بين هذه المرأة التى زادت دمامتها دمامة ، وهذا الرجل الذى زاد جماله جمالا . . . كف الملك عن الكفاح واستسلم . ففضيلة الموت أن المرء يستطيع أن يسلم إليه قياده ويستأمنه على نفسه ، فلم يكن له فى هذا الشرك من صديق غيره ، وبدا الموت لأجاميمنون شبحاً له ملامح أفراد أسرته ، فنادى ولديه مبتدئاً بابنه أوريست ، لكى يشكره على أنه سيثأر له يوماً . ثم نادى ابنته إليكترا لكى يشكرها على أنها أعارت الموت برهة شبه وجهها ويديهـــا ، وظلت كليتيمنيستر

لا تفلته وقد طفا الزبد على شفتيها . وكان أجاميمنون يود أن يموت ، ولكن دون أن تبصق هذه المرأة على وجهه ولحيته ، فلم تبصق ، إذ كانت مشغولة بالدوران حول جسده لكى يتفادى حذاؤها الدم ، كانت تدور فى ثوب أحمر ، فخيل إليه وهو فى النزع الأخير أن الشمس تدور من حوله ، ثم أطبق عليه الظلام ، ذلك أن كلا منهما أمسك بإحدى ذراعيه وقلبا وجهه إلى الأرض ، وكفّت أربع من أصابع يديه اليمنى عن الحركة ، وكان إيجيست قد انتزع السيف دون روية ، فأدار الجسد من جديد ، وغرز السيف فى الجرح مرة أخرى بهدوء وتمهل ، ثم شكر إيجيست لهذا الميت أنه استسلم للقتـــل مرة أخرى بوداعة وسكينة . ولو كان هكذا يتم القتل لهان قتل عشرات من أقران ملك الملوك ، ولكن كليتيمنيستر كانت تتأجج بالمقت لهذا الذى ظل يدافع عن نفسه بحماقة وعنف لأنها تدرك أنها سترى هذا القتل فى كل ليلة كابوساً مزعجاً . هذا هو الذى حدث ،

وهذا هو حساب جريمتها . إنها منذ أن قتلته
لسبع سنين خلت قد قتلته ثلاثة آلاف مرة .

[كان أوريست قد دخل أثناء القصة]

المرأة نرسيس : ها هو ذا الشاب ! ما أجمله !

السائل : نعم من نفس جمال الشاب إيجيست .

أوريست : أين هما يا إليكترا ؟

إليكترا : آه يا عزيزى أوريست !

المرأة نرسيس : إنها فى بهو الجنوب .

أوريست : إلى اللقاء قريباً دائماً يا إليكترا .

إليكترا : إذهب يا حبيبى !

أوريست : لماذا تقطع قصتك أيها السائل . استمر فقص
عليهم موت كليتيمنيستر وإيجيست .

[يخرج أوريست والسيف فى يده]

المرأة نرسيس : قص أيها السائل .

السائل : انتظرى دقيقتين . دعى له الوقت الكافى
لوصوله .

إليكترا : أمعه سيفه ؟

المرأة نرسيس : نعم يا ابنتى .

السائل : أبلغ بك الجنون أن تنادى الأميرة بيا ابنتى ؟

المرأة نرسيس : إنى أدعوها بابنتى ولا أقول إنها ابنتى . ومع ذلك فطالما رأيت أباها . أوه يا إلهى ، يا له من رجل جميل !

إليكترا : وكانت له لحية ، أليس كذلك ؟

المرأة نرسيس : ليست لحية ، وإنما هى شمس ، شمس مجعدة وذات موجات ، وكان يداعبها ، بيد هى أجمل يد فى العالم .

إليكترا : سمينى ابنتك أيتها المرأة نرسيس ، فأنا ابنتك ، أسمع صراخاً !

المرأة نرسيس : لا يا ابنتى !

إليكترا : أأنت واثقة من أنه كان يحمل سيفه ، وأنه لم يمثل أمامها بلا سيف ؟

المرأة نرسيس : أنت رأيته يمر ولديه ألف سيف ! إهدئى إهدئى !

إليكترا : كم كان لا بد أن تكون طويلة تلك الدقيقة التى طال فيها انتظارك على عتبة الحمام يا أمى .

المرأة نرسيس : هلم أكمل قصتك ، إن كل شىء سينتهى ونحن لن نعرف شيئاً .

السائل : إنتظرى دقيقة فإنه يبحث عنها ، ها هو ذا يلحق بهما .

المرأة نرسيس : أوه ! أستطيع أن أنتظر . يطيب لى أن أربت على صغيرتى إليكترا ، فلم أرزق إلا غلماناً أشقياء . ما أسعد الأمهات اللاتى رزقن بنات !

إليكترا : نعم سعيدات . فى هذه المرة حدث صراخ !

المرأة نرسيس : نعم يا ابنتى .

السائل : إذن هذه هى النهاية ، أخلت المرأة نرسيس والمتسولون سبيل أوريست فمضى عبر البهو مندفعاً حتى أنه لم يلمس إليكترا ولم يقبلها ، وهذا خطأ منه ، إذ لن يلمسها بعد ذلك أبداً . ولحق بالقاتلين وهما يفاوضان الثائرين من النافذة الرخامية ، فيطل عليهم إيجيست ويقول لقادتهم : إن كل الأمور ستسير اليوم ومن غد سيراً حسناً ، فإذا به يسمع خلف ظهره صراخ حيوان يذبح ، ولم يكن حيواناً ذلك الذى يصرخ ، وإنما هى كليتيمنيستر تتفجر منها الدماء ، وابنها هو الذى أراق دمها ، وكان وهو مغمض

العينين قد هوى على الاثنين بضربة عمياء ، ولكن من شأن هذه الضربة إن جاءت على يد الابن أن تذهل وتصرع الأم أولا ، حتى ولو كانت غير جديرة بهذا اللقب ، فلم تهتف باسم إليكترا أو أوريست ، ولكن باسم ابنتها الأخيرة كريزوتيميس ، فجعل ذلك أوريست يشعر بأنها أم أخرى ، أم بريئة تلك التى يقتلها ، أما هى ، فقد أخذت تتشبث بذراع إيجيست اليمنى ، وهذا منها عمل صائب ، فهذه آخر مرة فى حياتها ، يتاح لها فيها أن تستقر على قدميها ، وإن ترنحت قليلا ، ولكنها كانت تعوق إيجيست أن يستل سيفه من غمده ، وكان يهزها ليخلص ذراعه ، ولكن عبثاً ، وهى كذلك لفرط ثقلها لا تصلح له ترسا ، يميله نحو موقع الضربات ، وأربكه أيضاً ذلك الطائر الذى جعل يصفعه بجناحيه ، ويعمل فيه منقاره ، وحينئذ طفق يكافح بذراعه اليسرى بلا سلاح ، وعلى ذراعه اليمنى عبء ملكة ميتة بعقودها وسلاسلها الذهبية ، وكان يكره أن يموت ميتة المجرم

بعد أن تغلغل سر النقاء والقداسة فى كيانه كله ، وأن يقاتل من أجل جريمة لم تعد جريمته ، وأن يجد نفسه وهو مثال الشرف والبراءة وضيعاً أمام هذا القاتل لأمه ، وإذن فقد أخذ يكافح بيده والسيف يقطعها قليلا قليلا ، فإذا بحزام درعه قد علق بمشبك على صدر كليتيمنيستر ، فانفك رباطه ، وحينئذ كف عن المقاومة ، وأحس الذين من حوله أن محاولته للتخلص من الملكة لم تكن لكى يقاتل وحده ، ولكن لكى يموت وحده ، وأن يتلقفه الموت وهو بعيد عن كليتيمنيستر ، ولكنه لم يفلح ، وبقى إيجيست وكليتيمنيستر إلى الأبد قرينين لا يفترقان على ألسنة الناس ، ولفظ إيجيست أنفاسه الأخيرة وهو يهتف باسم لن أبوح به .

صوت إيجيست : [صارخاً من الخارج] إليكترا !

السائل : إنى رويت القصة مفرطاً فى السرعة ، وقد لحقنى الصوت .

المشهد العاشر

إليكترا ، السائل ، المرأة نوسيس ، أحد الخدم ، الأومينيدات .

[وهن الآن فى سن إليكترا وقامتها]

خادم : فروا جميعاً فالقصر يحترق !

الأومينيدة الأولى : ذلك هو النور الذى كان ينقص إليكترا فمع النهار والحقيقة يؤلف لها الحريق ثلاثة أنوار .

الأومينيدة الثانية : ها أنت ذى ممتنة يا إليكترا ! فالمدينة تموت !

إليكترا : ها أنا ذى ممتنة ، إذ منذ دقيقة واحدة أنا أعرف أنها ستولد من جديد .

الأومينيدة الثالثة : وهل سيولد أيضاً أولئك الذين يتبادلون التذبيح فى الطرقات ؟ إن الكورانتيين قد هاجموا المدينة ، وهم يذبحون أهلها .

إليكترا : إذا كانوا أبرياء ، فسيولدون من جديد .

الأومينيدة الأولى : ها هوذا حيث تقتادك الكبرياء يا إليكترا ! إنك لم تعودى شيئاً ! ولم يعد لديك شىء .

إليكترا : لدى ضميرى ، ولدى أوريست ، ولدى العدالة ، ولدى كل شىء !

الأومينيدة الثانية : ضميرك ! ستستمعين إلى ضميرك فى فجر كل يوم من الأيام التى تعد لك . لقد امتنع عليك النوم سبعة أعوام بسبب جريمة اقترفها آخران ، ولكنك منذ اليوم أنت الجانية .

إليكترا : لدى أوريست ، ولدى العدالة ، ولدى كل شىء !

الأومينيدة الثالثة : أوريست ! لن تكتحل عيناك برؤية أوريست بعد الآن أبداً . فنحن نغادرك لنحدق به ، وسنتخذ سنك وصورتك لنتعقبه . وداعاً نحن لن نطلقه حتى يهوى فى الهذيان ويقتل نفسه لاعناً أخته .

إليكترا : لدى العدالة ، ولدى كل شىء .

المرأة نرسيس : ماذا يقلن ؟ إنهن شريرات ! ما هو موقفنا يا إليكترا المسكينة ، ما هو موقفنا ؟

إليكترا : ما هو موقفنا ؟

المرأة نرسيس : نعم أوضحى لى فإنى خلقت بطيئة الفهم ، إننى أشعر بلا ريب أن شيئاً قد حدث ، ولكنى لا أدركه ، فما هو الاسم الذى يصدق على طلوع نهار مثل نهارنا هذا ؟

ماذا ! لقد خابت كل الآمال وعم النهب والسلب وبقى الهواء مع ذلك متاحاً لأنفاس الناس وقد خسروا كل شيء ، واحترق البلد ، وأخذ الأبرياء يفتك بعضهم ببعض وثوى المجرمون تعذبهم حشرجة الموت ، فى زاوية من زوايا النهار الطالع .

إليكترا : إجابتك عند السائل ، هو يعرفها ، فعليك به .

السائل : ذلك له اسم جد جميل أيتها المرأة نرسيس ، هذا الاسم هو الصبح .

(تسدل الستار)

روائع المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية
تصدر يوم ٤ من كل شهر

صدر منها :

١ - الشقيقات الثلاث	تأليف : أنطون تشيكوف ترجمة : الدكتور على الراعى
٢ - أعمدة المجتمع	تأليف : هنريك إبسن ترجمة : عزيز سليمان
٣ - سيانودى برجراك	تأليف : أدموند روستان ترجمة : عباس عافظ
٤ - مروع ليبى وندمير	تأليف : أوسكار وايلد ترجمة : عباس يونس
٥ - بينلوبى	تأليف : سومرست موم ترجمة : مفيد الشوباشى
٦ - الغربان	تأليف : هنرى بيك ترجمة : الدكتور محمد القصاص

تصدرها : وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

الناشر : الشركة التعاونية للطباعة والنشر
١٤ شارع عماد الدين ت ٤١٣٠٣ - القاهرة

مطابع كوستا تسومَاسْ وشركاه

٥ شارع وقف أكرموبلي بالظاهر - تليفون ٤٤١١٨ ج.ع.م.

١٣ شارع حبلاى بالقاهرة - تليفون ٥٩٦٣٩